

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة: الانثروبولوجيا

مطبوعة دروس في :

منهجية البحث الانثروبولوجي وادواته

موجهة الى طلبة السنة الثانية ليسانس تكوين توجيهي في الانثروبولوجيا

من اعداد:

الدكتور: الطيب العماري

السنة الجامعية 2020 – 2021

فهرس المحتويات:

04	- مقدمة.....
05	I- مدخل: مفهوم الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالعلوم الأخرى.....
05	1- مفهوم الأنثروبولوجيا.....
13	2- الأنثروبولوجيا وصلتها بالعلوم الأخرى.....
24	II- منهجية البحث الأنثروبولوجي:.....
24	1- تعريف المنهج.....
25	2- علم المناهج (المنهجية).....
26	3- المنهج العلمي وأهدافه.....
28	4-الاتجاهات والمداخل النظرية في الدراسة الأنثروبولوجية:.....
28	4-1- الاتجاه التطوري.....
30	4-2- الاتجاه الانتشاري.....
35	4-3- الاتجاه الوظيفي.....
40	4-4- الاتجاه البنائي.....
43	4-5- الاتجاه البنائي الوظيفي.....
50	4-6- اتجاه الحتمية الاقتصادية.....
50	4-7- الاتجاه السيكلوجي.....
50	4-8- التطورية الجديدة.....
55	4-9- الاتجاه الايكولوجي.....
57	4-10- الاتجاه المعرفي.....
58	IV - خطوات البحث الأنثروبولوجي وأدواته.....
58	1- العمليات التحضيرية للبحث.....
59	2- الدراسة الميدانية وأدوات البحث الأنثروبولوجي:.....
59	أ- الملاحظة بالمشاركة.....
63	ب- طريقة المقابلة.....
75	ج- طريقة مدخل تاريخ الحياة.....

- د- طريقة الاختبارات النفسية..... 76
- هـ- طريقة المقارنة..... 76
- V- الصعوبات التي تواجه البحث الأنثروبولوجي: 78**
- 1- صعوبات ترتبط بالاختفاء التدريجي للمجال التقليدي للبحث الأنثروبولوجي.... 78
- 2- صعوبات ترتبط بطبيعة المنهج الأنثروبولوجي..... 79
- 3- صعوبات ترتبط بشخصية الباحث..... 80
- 4- صعوبات ترتبط بتطبيق الطريقة الأنثروبولوجية في دراسة المجتمعات المعقدة. 82
- **الخاتمة**..... 83
- **الملاحق** 85
- **قائمة المراجع**..... 106

المقدمة:

من الحقيقة التي تقال أن البشرية حققت منذ القرن التاسع عشر وطوال القرن العشرين نقلة نوعية وسريعة في اكتساب المعارف والعلوم المختلفة في فهم كل ما يتعلق بالإنسان، ويعود هذا إلى التطور العلمي الكبير الذي نتج عنه زيادة في التخصصات التي صاحبها بالطبع عملية تطور للنظريات والمناهج والأدوات التي من خلالها يمكن الوصول إلى المزيد من النتائج العلمية الدقيقة التي تكون أقرب إلى فهم كل الظواهر.

وإذا كانت العلوم التطبيقية والتجريبية المجردة مثل البيولوجيا والفيزياء والرياضيات... إلخ نجحت في أن تؤسس لمناهج ثابتة تعتمد بالدرجة الأولى على المنهج التجريبي فإن الأمر يختلف تماما بالنسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية المختلفة والتي تجعل من السلوك الإنساني هدفا لهذه الدراسات والنظريات، فالسلوك الإنساني متغير باستمرار حسب المكان والزمان وهذا ما جعل دراسته من الأمور المعقدة خاصة فيما يتعلق بالطرق والمناهج والأدوات ووسائل الدراسة، وانطلاقا من هذا ظهرت العديد من التخصصات الإنسانية التي تحاول أن تدرس السلوك والنشاط الإنساني من زوايا متعددة وفي مواقف مختلفة، فظهر علم الاجتماع، والاقتصاد وعلم النفس والأنثروبولوجيا... إلخ وتعددت مناهجها ومدخلها.

وسوف نركز في بحثنا هذا على هذا العلم الحديث النشأة الذي أخذ في التوسع والانتشار والازدهار بشكل كبير وهو علم الأنثروبولوجيا، هذا العلم الذي يهتم بدراسة الإنسان من كل جوانبه.

وعلى خلاف العلوم الاجتماعية المختلفة التي تهتم بوصف وتحليل السلوكيات الظاهرة للإنسان وعادة ما تكون ظواهر منفصلة، وهي تستخدم في ذلك مناهج متعددة ومنفصلة مثل المدخل الاقتصادي لتفسير النشاطات الاقتصادية للإنسان، والمدخل السوسيولوجي لتفسير العلاقات الاجتماعية.... إلخ فإن الأنثروبولوجيا تستخدم كل

هذه المداخل مجتمعة لتحليل وتفسير السلوكيات والنشاطات الإنسانية، لأن الأنثروبولوجيا تبحث في العلاقة بين الإنسان وكل تلك الظواهر في نفس الوقت. انطلاقاً من هذا كان لابد أن يكون للأنثروبولوجيا مناهج مميزة وطرق وأدوات تسمح بتحقيق الأهداف المختلفة في دراسة الإنسان وسلوكاته المتعددة. وسنحاول في بحثنا هذا الوقوف على هذه المناهج والطرق المتعددة في لدراسة الأنثروبولوجية، وقد تناولت في هذا البحث: مدخل لتعريف المنهج العلمي عموماً والمنهج الأنثروبولوجي خاصة ودوره في دراسة الإنسان، والتركيز على طرق وأدوات البحث الأنثروبولوجي، والصعوبات التي تواجه الباحث في الميدان والتي تحول دون تحقيقه لأهداف بحثه.

1-مدخل : مفهوم الأنثروبولوجيا وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

1 - مفهوم الأنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا علم يهتم بدراسة الإنسان وهي تدرس الإنسان و طرق حياة الناس سواء كانوا في الأزمان السحيقة أو المعاصرة¹.

- تشتق كلمة انثروبولوجيا من الكلمتين اليونانيتين هما: انثروبوس (Anthropos)، ومعنا الإنسان ولوغوس (LOGOS) ومعناها العلم أو الدراسة ومن ثم فان معنى انثروبولوجيا هو دراسة الإنسان أو علم الانسان² وقد استعمل بعض الانثروبوجيين العرب مصطلح " الاناسة" للدلالة على علم الانثروبولوجيا³.

يرى بعض مؤرخي العلوم ان مصطلح الأنثروبولوجيا ظهر في اللغة الانجليزية في كتاب مجهول المصدر والاسم يناقش فيه طبيعة الانسان ، حيث قسم موضوع العلم

1 - محمد حسين غامري: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 13- 14

2 - محمد عبده محجوب: مقدمة في الانثروبولوجيا المجالات النظرية والتطبيقية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، 1987، ص 35

3 - جاك لومبار : مدخل الى الاثنوغرافيا، ترجمة حسن قبيسي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 - الدار البيضاء - المغرب الأقصى 1997، ص 11 .

في هذا الكتاب الى قسمين ، الاول يهتم بعلم النفس والثاني بعلم التشريح .و من الطبيعي ان يكون هذا التقسيم بعيدا جدا عن مجال الدراسة في الانثروبولوجيا بذلك الوقت والذي يختلف عن مجال دراستها اليوم¹ ، ثم استخدم عام 1593 في بريطانيا دائما ، وكان المقصود به دراسة الإنسان من جميع جوانبه الطبيعية والسيكولوجية والاجتماعية ،وهي تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية. كما تركز على الدراسات المقارنة للشعوب والحضارات من اجل تحديد أوجه الاختلاف والتشابه بين الثقافات، التي يمكن ملاحظتها بين الجماعات البشرية، للوصول الى استنتاج القوانين أو المبادئ التي تحكم المجتمعات البشرية وثقافتها وتطورها.

ويرى الباحث الفرنسي جان بواريه أن كلمة الأنثروبولوجيا ظهرت أولاً في كتابات علماء الطبيعة إبان القرن الثامن عشر لتعني دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان وكان عالم الطبيعة الألماني جوهان بلومينباخ- في رأى بواريه- أول من أدخل كلمة " الأنثروبولوجيا" في منهج تدريس التاريخ الطبيعي بالمقررات الجامعية، كما أن الفيلسوف الألماني إيمانويل كان له الفضل في اشاعة استخدام هذا المصطلح خاصة بعد صدور كتابه " الأنثروبولوجيا" من منظور عملي².

- واستخدمه عالم النفس الألماني روخ (Rouch) عام 1841م، كمفهوم فلسفي يتصل بدراسة النفس الإنسانية ثم نقل هذا المصطلح في التركيز على دراسة السلالات البشرية، وقد أعطاه المعنى التالي:

¹ -وسام العثمان : المدخل الى الانثروبولوجيا ، الاهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ، 2002 ، ص 12.

² -يحي مرسى عيد بدر :اصول علم الانسان- الانثروبولوجيا ، ج 1 ، ط 1 ، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ، 2007 ، ص 10-22.

هو: دراسة المؤثرات الخارجية التي يخضع لها، العقل الإنساني، والتغيرات التي تتم بمقتضى تلك المؤثرات.

ويرى العالم الأمريكي فرانز بواس (Franz Boas) بأن الأنثروبولوجيا علم يدرس الإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً حيث يتم دراسة ظواهر الحياة الاجتماعية والإنسانية دون تحديد زمني أو مكاني¹.

ويختلف معنى الأنثروبولوجيا من بلد لآخر فما يدرجه الأمريكيون تحت عبارة الأنثروبولوجيا الثقافية يصطلح الفرنسيون للإشارة إليه بالإنثولوجيا أو الإثنوجرافيا. في بعض الأحيان وهم يدرسونها تحت مظلة علم الاجتماع. وفي أوروبا نجد أن الوضع يختلف من بلد أوروبي إلى آخر ويرجع ذلك إلى تباين الخلفيات الثقافية والمصالح القومية للدول الأوروبية

وفي إنجلترا، اختار العلماء هناك تسمية هذا العلم باسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية ونظروا إليها باعتبارها علماً قائماً بذاته لا يدرج تحته أي من التخصصات الأخرى، وفي روسيا يشيع استخدام مصطلح الإثنوجرافيا Ethnografia وتعني لديهم دراسة التنظيم الاجتماعي للمجتمعات البدائية وخاصة فيما يتعلق بالتحويلات التي تحدث في تلك المجتمعات عند تحولها إلى دول جديدة وما يتبعه من بروز للطبقات الاجتماعية، كما يهتمون بدراسة المشاكل المتصلة بالجماعات العرقية والمشاعر القومية للأقليات وكذلك تطور المجتمعات الإنسانية في إطار النظرية الماركسية².

1 - kenanaonline.com/.../محاضرات%20أنثروبولوجيا%20- doc التربية%20في%20

جامعة آل سعود، المملكة العربية السعودية ، كلية التربية، قسم التربية .محاضرات في أنثروبولوجيا التربية .إعداد الدكتور. علي الحاجي)

² - يحي مرسى عيد بدر مرجع سابق ، ص 10 - 22 .

موضوع الانثروبولوجيا:

موضوع هذا العلم هو الانسان فالإنسان هو المحور الأساسي وهو الذي يحدد موضوعات هذا العلم ، هذه الموضوعات التي تتصف بالاتساع والتشعب، حيث تشمل على فروع وتخصصات متعددة يركز كل منها على أحد الأشكال المختلفة للخبرات البشرية، فالبعض يدرس الحقائق العلمية التي تكشف عن الإنسان الأول ويهتم بعض العلماء بدراسة اللغات التي كانت سائدة في الأزمان البعيدة، وكيف تطورت اللغات البشرية وتباينت، والبعض يدرس اللغات المعاصرة، وكيف تخدم هذه اللغات حاجات الاتصال البشري، وتهتم الأنثروبولوجيا كذلك بدراسة التراث والتقاليد والعادات، أي طرق التفكير البشري والسلوك والذي يصطلح عليه الثقافة، وقد أدى ذلك إلى اهتمام الأنثروبولوجيين بدراسة الثقافات القديمة وتنوع ثقافات المجتمعات المختلفة كما يحاول الأنثروبولوجيون الكشف عن أسباب تغير الثقافات أو إثباتها¹.

الى جانب مصطلح الانثروبولوجيا هناك مصطلحات تتداخل مع الانثروبولوجيا وتكملها و نقصد بها هنا الاثنولوجيا والاثنوغرافيا

الاثنولوجيا "النياسة" *Ethnologie*

Ethnos وتعني قوم أو شعب و *logie* وتعني علم وعليه فالاثنولوجيا تعني علم الشعوب أو الأقوام ، تهدف إلى عقد المقارنة بين الثقافات حتى تستطيع التوصل إلى ما نسميه بالعموميات أو قوانين عامة تحكم سلوك الإنسان كما يحاول المتخصص في الاثنولوجيا دراسة آثار الاتصال بين الثقافات المختلفة وتصنيف هذه الثقافات إلى مجموعات أو مناطق ثقافية في ضوء مقاييس معينة توضح تحقيق هذا الغرض² .

¹ -فرانسوا لابلانين: مفاتيح الأنثروبولوجيا، ترجمة حفناوي عامرية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص 07.

² - نخبة من الأساتذة : مدخل إلى الاثنوغرافيا ، عالم المعرفة الجامعية ، الإسكندرية - مصر، 2011 -ص 22

إلى زمن طويل كان مصطلح الاثنولوجيا يستخدم كمرادف للانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في بعض الجامعات الأوروبية وخاصة في فرنسا. كما أن خاصية الترادف تعود من جانب آخر إلى عدم وجود فواصل محددة بين فروع الانثروبولوجيا في الماضي. خاصة في القرن التاسع عشر. غير أن الأمر تبدل الآن وأصبحت الاثنولوجيا فرعاً من الدراسات الانثروبولوجيا التي تهتم بكل الثقافات البشرية. وتعنى بتصنيف الشعوب على أساس خصائصها ومميزاتها السلالية والثقافية وتفسر توزيعها في الوقت الحاضر. أو في الماضي كنتيجة لتحرك هذه الشعوب واختلاطها وامتزاجها وانتشار الثقافات¹.

الاثنوغرافيا (الناسوت) *Ethnographie*

وهي الجزء الوصفي من النياسة (الاثنولوجيا) وهي كلمة يونانية مركبة من كلمتين *ethnos*: وتعني قوم او ناس و *graphie* وتعني وصف ،والمقصود بها وصف الشعوب و هي تعني في كثير من الأحيان صيغة الدراسة المونوغرافية التي تتناول جماعة مجتمعية معينة . أو مؤسسة تضم عدة جماعات (تقنيات .زواج .عبادات دينية...) ويعتبر ليفي ستروس أن الاثنوغرافيا هي المرحلة الأولى من العمل الاثنولوجي والانثروبولوجي .اي مرحلة جمع المعطيات .وهي مرحلة تستوجب القيام عادة بتحقيق ميداني قوامه المعاينة المباشرة ويرى راد كليف براون ان الاثنوغرافيا هي معاينة الظواهر الثقافية ووصفها وقد عرفها مارسيل غريول بأنها الفرع المعرفي الذي يحيط بنشاطات الشعوب المادية والروحية ويدرس تقنياتها وأديانها وشرائعها ومؤسساتها السياسية والاقتصادية وفنونها ولغاتها وأعرافها².

¹ - محمد عبد المعبود مرسي : الانثروبولوجيا العامة ، دار المعرفة الجامعية .الإسكندرية .مصر 1987. ص 89-60

² - جاك لومبار : مرجع سابق ، ص 13.

ويعرفها بعض الاساتذة بأنها الدراسة التسجيلية للشعوب دون تحليل لهذه الثقافات أو عقد المقارنات بينها و بين الشعوب الأخرى¹.

خصائص الانثروبولوجيا:

برغم أن الإنسان يدرس من قبل علوم أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم التشريح والجغرافيا البشرية والسياسية وعلم الاقتصاد، وعلم الأديان، إلا أن علم الأنثروبولوجيا تنفرد بخصائص منهجية في دراسة الإنسان، يتحدد من خلالها سمات هذا العلم، عن بقية العلوم الأخرى ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

1- علم الأنثروبولوجيا يدرس المجتمع ككل دون التركيز على جانب محدد بذاته.

وبذلك فهو يستخدم المنهج الكلي او الشمولي في الدراسة (*holistic method*)

(*Approche holistique* //) فهو يبحث عن تحديد جميع العناصر الثقافية

والنظم المشكلة للمجتمع² ،

اي أن الأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد الجوانب البيولوجية والاجتماعية والثقافية للإنسان، ومن ثم فهي أشمل من العلوم السابقة. وهذا يعني أن الأنثروبولوجيين أخذوا تعريفهم لعلمهم مأخذ الجد، ومن ثم درسوا كل ما يتعلق بالإنسان. فإذا نظرنا إلى الإنسان أي إنسان فيمكننا أن نتناوله من عدة جوانب:

الجانب البيولوجي: بمعنى دراسة الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية، له سمات مورفولوجية وفسولوجية معينة يشاركه في ذلك العديد من أعضاء المملكة الحيوانية، ومن ثم يتوفر هذا الجانب على دراسة موضوعات محددة تلقى الضوء

1 - نخبة من الأساتذة ، مرجع سابق، ص 22 .

2 وسام العثمان ،مرجع سابق ، ص14.

على الإنسان كحيوان مثل ما هو أصل الإنسان، وكيف نشأ، وما هي المراحل التي مر بها خلال تطوره وعلاقته بالكائنات الحية الأخرى والأجناس البشرية والعوامل التي أدت إلى نشأة الأجناس وتتنوعها، والصفات التي تميز الإنسان عن أقرب الحيوانات وهي القردة العليا..إلخ.

والجانب الثاني: وهو الجانب الاجتماعي بمعنى النظر إلى الإنسان كعضو في المجتمع فقد، خلق العديد من الظواهر الاجتماعية وأنشأ المجتمعات المختلفة وكون العديد من النظم الاجتماعية سواء الاقتصادية أو السياسية أو الدينية، واستطاع أن يكون العائلة ويعيش في جماعة، وجعل الزواج هو أصل العائلة ورتب على وجود نظام الأسرة العديد من الحقوق والواجبات بين أعضائها. والواقع أن الإنسان قد لا ينفرد عن غيره من الحيوانات التي تعرف شكلاً أو آخر من أشكال الحياة الاجتماعية أو العيش في زمر وجماعات، وتعرف بعض نظم تقسيم العمل بين أعضائها كما هو الحال في مملكة النحل أو النمل ولكنها جميعاً أشكال فجة من العلاقات الاجتماعية وإن كانت بعض أنواع الحيوانات تحتفظ بزوجة واحدة طيلة الوقت مثلاً.

والجانب الثالث: وهو ذلك الجانب الذي لا يشاركه فيه كائن حي آخر، فالإنسان هو الكائن الوحيد الحامل والمنتج لـ : " الثقافة" *Culture* مثل اللغة والعادات والتقاليد والقيم والأعراف والمعتقدات والفن، وهو الكائن الوحيد الذي يملك زمام الاتصال من خلال اللغة، ومن ثمة أمكنه أن ينقل خبراته إلى الأجيال الأخرى. وللإنسان العديد من طرق التربية أو التنشئة الاجتماعية ، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يؤمن بالآلهة ويعرف أنه سوف يموت ثم يستعد لذلك المجهول، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يدرك أبعاد الزمن سواء الماضي أو الحاضر أو المستقبل، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي خلف أو ترك لنا أدواتاً وبنى البيوت وركب السيارات والطائرات وما زال حقل

الاكتشافات والاختراعات العلمية لم يتوقف وسوف يكون هناك عصر ما بعد عصر الفضاء وثورة الاتصالات والانترنت وثورة المعلومات، وكلها وسائل " ثقافية" قاصرة على الإنسان وحده¹.

2- يستخدم علم الأنثروبولوجيا المنهج المقارن في دراسة الإنسان (*Comparative Mithod / Approche comparative*) فهو أنسب الطرق في دراسة الأنثروبولوجيا. حيث تتم دراسة مقارنة لمجتمعات متعددة في أبنيتها الاجتماعية وثقافتها حتى يمكن التوصل إلى تعميمات علمية مجردة تحدد خصائص تلك المجتمعات.

تعتمد الأنثروبولوجيا الثقافية أو الاجتماعية المعاصرة على ما يسمى بالبحث أو الدراسة (أو المعانية الميدانية للنموذج المختار للدراسة. حيث *field Research* الحقلية) وأصبحت الدراسة الميدانية / *Étude de terrain* انتهى عهد الأنثروبولوجيا النظرية هي الحقل التجريبي لعلم الأنثروبولوجيا، تماماً كبقية العلوم الأخرى التي تعتمد على التجارب المخبرية². من أهم الخصائص التي تميز الأنثروبولوجيا عن غيرها من العلوم الإنسانية هو اختياره لنوعية معينة من النماذج المجتمعية التي تدرسها. وقد كان النموذج المختار للدراسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هو المجتمع الذي (لأنه مجتمع صغير نسبياً ومحدود الكثافة *Société primitive* يوصف بأنه بدائي) تسهل دراسته دراسة كلية شاملة.

¹ يحي مرسى عيد بدر ، مرجع سابق ، ص 13 -14.

² doc.التربية20%في20%أنثروبولوجيا20%محاضرات/.../kenanaonline.com -

جامعة آل سعود، المملكة العربية السعودية ، كلية التربية، قسم التربية .محاضرات في أنثروبولوجيا التربية .إعداد الدكتور .علي الحاجي)

3- يدرس هذا العلم الإنسان من جانبه الفردي والاجتماعي والثقافي معاً. وقد

ظهرت مفاهيم علمية تميز هذا النوع من الدراسة فيها:

أ. الأنثروبولوجيا الطبيعية او المادية : يدرس جسم الإنسان سواء من حيث صفاته ومقاييسه أو من حيث أسلافه وأجداده الأوائل وكيفية انتشاره.

ب. الأنثروبولوجيا الاجتماعية (*social Anthropology / Anthropologie sociale*)

وهو دراسة الإنسان والنظم الاجتماعية في علاقاتها وتربطها مع

بعضها البعض في شبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية. والأمر هنا يتعلق

بالعلاقات الاجتماعية والثقافية. والأمر هنا يتعلق بالعلاقات الاجتماعية

وأنماطها الثقافية .

3- الأنثروبولوجيا وصلتها بالعلوم الأخرى:

تعد الأنثروبولوجيا علم شامل حيث تشترك وتتصل بجميع العلوم الأخرى خاصة

منها العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، تشتمل العلوم الإنسانية على الفن

واللغات والموسيقى والفلسفة والتاريخ وتمتد الدراسات الأنثروبولوجية إلى كل هذه

العلوم، حيث تهتم بدراستها وتفسيرها وتحليلها وتتناول كل منها من خلال حقبات

زمنية وأمكنة معينة. على سبيل المثال عندما تدرس الأنثروبولوجيا الفن يقوم

الأنثروبولوجيون بجمع معلومات وفيرة عن الفن الشعبي للثقافات الغريبة عن التقاليد

المعاصرة، والتعرف على الدور الذي يؤديه الفن في المجتمع والثقافة، وأيضا عندما

تتجه الأنثروبولوجيا نحو التاريخ، فهي تفعل ذلك من خلال أحد فروعها الذي يعرف

بعلم آثار ما قبل التاريخ، ومن خلال الدراسات الأركيولوجية يمكن فهم ثقافة عصور

ما قبل التاريخ أي قبل أن توجد السجلات التاريخية.

وتلتقي الأنثروبولوجيا مع العلوم الطبيعية حيث تستمد منها تحليلاتها وتفسيراتها وذلك من خلال توظيف وتطبيق ما تشتمل عليه من العلوم مثل البيولوجيا والكيمياء والجيولوجيا والايكولوجيا، فالتحليلات الكيميائية تساعد الأنثروبولوجيين في معرفة طبيعة المخلفات والرواسب المادية سواء كانت للكائنات الحية النباتية أو الأدوات والتي يعبر عليها علماء الأركيولوجيا في الحفريات، ويساعد علم الجيولوجيا في الكشف عن الطبقات الأرضية والحجرية وتحديد العصور حسب مراحلها التاريخية والتي تنتمي إليها الطبقة الأرضية التي عثر فيها على المخلفات المادية سواء كانت حيوانية أو نباتية أو أدوات.⁽¹⁾

وتوضح المعلومات الأيكولوجية التأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، وتعتبر البيولوجيا مصدرا وفيرا للمفاهيم والمعلومات التي يمكن استخدامها في تشريح أجسام الكائنات الحية وعلم وظائف الأعضاء مما يساعد على فهم التطور والسلوك، ومن خلال التقاء الأنثروبولوجيا مع العلوم الطبيعية، يستطيع الباحث أن يفهم ظاهرة التنوع الثقافي في المجتمعات المختلفة.

كما تستفيد الأنثروبولوجيا من عدد كبير من العلوم الاجتماعية مثل الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة والإحصاء والقانون والجغرافيا.⁽²⁾

وهكذا نرى أن علم الأنثروبولوجيا لا ينفرد بدراسة الإنسان، إنما يشترك في ذلك مع عدد كبير من العلوم الأخرى وبالتالي تعدد مداخله ووجهات الدارسين وتعدد مناهج البحث الأنثروبولوجي، لأن الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد أو منعزل، وإنما تدرسه ككائن اجتماعي يحيا في مجتمع، وعليه حقوق وواجبات، ويؤدي وظائف اجتماعية، ويعيش في ثقافة، وينتشر في الأرض زمرا ومن ثم فهي

¹ - د. محمد حسين غامري، المرجع السابق، ص 14 - 15.

² - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003، ص ص 59 - 68.

تدرس الإنسان كعضو في المجتمع من ناحية، ومنشئ للثقافة من ناحية أخرى، كما تدرس الإنسان في كل زمان ومكان، فهي تهتم بتاريخ الشعوب التي تفتقر إلى التاريخ المسجل أو المكتوب، ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا.⁽¹⁾

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع

يعدّ علم الاجتماع من أحدث العلوم الأساسية وأهم العلوم الإنسانية. لذلك، يعرف بأنه : العلم الذي يدرس الحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرى أسباب الحوادث الاجتماعية وقوانين تطورها.

ويعرّف بصورة أوسع، بأنه : أحد العلوم الإنسانية الهامة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وهو من العلوم التي تحاول الوصول إلى قوانين وقواعد تفسر الظواهر الاجتماعية، سواء كانت هذه الظواهر في شكل جماعات بشرية، أو نظم ومؤسّسات اجتماعية أو إنسانية. وهو بالتالي، العلم الذي يساعد في تكيف الفرد والمجتمع للعيش معاً، ضمن أهداف معيّنة يسعون إلى تحقيقها، من أجل التقدّم والاستمرارية².

فعلم الاجتماع إذن، يدرس العلاقات بين الأفراد وعمليات التفاعل فيما بينهم، وتصرفاتهم كأعضاء مكوّنين لهذه الجماعة. فهو يركّز على سلوكيات الأفراد ضمن هذا المجتمع أو ذاك، ويدرس بالتالي تأثير البيئة الاجتماعية (الاقتصادية والثقافية) في تكوين الشخصية الإنسانية، وتحديد العلاقات بين الأفراد.

إنّ مصطلح / علم الاجتماع / مشتقّ من كلمتين، الأولى هي (سوسيو Sociu)

¹ - د. محمد عبده محجوب: مرجع سابق ، ص ص 67-70.

² عيسى الشماس :مدخل الى علم الانسان (الانثروبولوجيا) ، اتحاد الكتاب العرب ، عن موقع اتحاد الكتاب العرب

اللاتينية، وتعني رفيق أو مجتمع. والثانية (لوغوس LOGOS) اليونانية، وتعني العلم أو البحث. وبما أنّ علم الاجتماع يتناول التفاعل الاجتماعي عندما يدرس الجماعة، فإنّ ثمة تداخلاً كبيراً بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فكلاهما يدرس البناء الاجتماعي والوظائف الاجتماعية .. وهذا ما دعا أحد العلماء إلى القول : إنّ علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، هو فرع من فروع علم الاجتماع المقارن.

وهكذا نجد أنّ ثمة صلة من نوع ما، بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالنظر إلى أنّ كلاّ منهما يدرس الإنسان. ويتجاوز الترابط بينهما المعلومات التي يهدف كلّ منهما الحصول عليها، إلى منهجية البحث من حيث طريقته وأسلوبه، إلى حدّ تسمّى الأنثروبولوجيا عنده، بعلم الاجتماع المقارن، على الرغم أنّها تهتمّ بالجانب الحضاري عن الإنسان ، بينما تقترب دراسة علم الاجتماع من الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

فعلم الاجتماع يركّز في دراساته على المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كما يدرس الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع أو ذاك من المجتمعات الحديثة، ويندر أنّ يدرس المجتمعات البدائية أو المنقرضة. بينما تركّز الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) في دراساتها، على المجتمعات البدائية / الأولية، وأيضاً المجتمعات المتحضّرة / المعاصرة.

ولكنّ دراسة الأنثروبولوجيا للمجتمعات الإنسانية، تتركّز في الغالب على : التقاليد والعادات والنظم، والعلاقات بين الناس، والأنماط السلوكية المختلفة، التي يمارسها شعب ما أو أمة معيّنة. أي أنّ علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية يدرس الحياة الاجتماعية (المجتمع ككلّ)، وينظر إليها نظرة شاملة، ويدرس البيئة العامة، والعائلة ونظم القرابة والدين، بينما تكون دراسة علم الاجتماع متخصصة إلى حدّ بعيد. حيث يقتصر على دراسة ظواهر محدّدة أو مشكلات معيّنة، أو مشكلات قائمة بذاتها، كمشكلات : الأسرة

والطلاق والجريمة، والبطالة والإدمان والانتحار ...

وإذا كان ثمة تباين أو اختلاف بين العلمين، فهو لا يتعدى فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيراتها، وفق أهداف كلّ منهما. فبينما نجد أنّ الباحث في علم الاجتماع، يعتمد على افتراضات نظرية لدراسة وضع المتغيرات الاجتماعية، ويحاول التحقّق منها من خلال المعلومات التي يجمعها بواسطة استبيان أو استمارة خاصة لذلك، نجد - في المقابل - أنّ الباحث الأنثروبولوجي، يعتمد تشخيص الظاهرة استناداً إلى فهم الواقع كما هو، ومن خلال الملاحظة المباشرة ومشاركة الأفراد في حياتهم العادية¹

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس

يعرّف علم النفس بأنّه : العلم الذي يهتمّ بدراسة العقل البشري، والطبيعة البشرية، والسلوك الناتج عنهما. أي أنّه : مجموعة الحقائق التي يتمّ الحصول عليها من وجهة النظر النفسيّة. وهذا يعني : أنّه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بهدف فهمه وتفسيره. ومن هذا المنطلق، يمكن القول : إنّ علم النفس ، هو العلم الذي يدرس الإنسان من جوانب شخصيّته المختلفة، بغية الوصول إلى حقائق حولها، قد تكون ذات صفة عامة ومطلقة، يمكن تعميمها .

ولذلك، تهتمّ الدراسات النفسيّة بالخصائص الجسميّة الموروثة، وتحديد علاقاتها بالعوامل السلوكية لدى الفرد، ولا سيّما تلك العلاقة بين الصفات الجسميّة العامة، وسمات الشخصية. مع الأخذ في الحسبان العوامل البيئيّة المحيطة بهذه الشخصية . ويميل النفسيون إلى الاعتقاد بأهميّة هذه العوامل البيئيّة في هذه العلاقة، فالشخص القوي البنية، والذي يميل إلى السيطرة وتولّي المراكز القياديّة، لا بدّ وأنّه تعرّض إلى خبرات اجتماعية / نفسيّة، في أثناء طفولته ونموّه، أسهمت في إكسابه هذه السلوكات.

¹ عيسى الشماس :مرجع سابق.صص 15-16.

وإذا كانت الأنثروبولوجيا، توصف بأنها العلم الذي يدرس الإنسان، من حيث تطوره وسلوكاته وأنماط حياته، فإن علم النفس يشارك الأنثروبولوجيا في دراسة سلوك الإنسان. ولكن الخلاف بينهما، هو أن علم النفس يركّز على سلوك الإنسان / الفرد، أما الأنثروبولوجيا فتركّز على السلوك الإنساني بشكل عام. كما تدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة.

وعلى الرغم من أن علم النفس يقصر دراسته على الفرد، بينما تركّز الأنثروبولوجيا اهتمامها على المجموعة من جهة، وعلى كلّ فرد بصفته عضواً في هذه المجموعة من جهة أخرى، فثمة صلة وثيقة بين العلمين. حيث اكتشف علماء النفس أن الإنسان لا يعيش إلا في بيئة اجتماعية يؤثر فيها ويتأثر بها ..

وتتصبّ الدراسة في علم النفس الاجتماعي على المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية، كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغريزة التجمّع، إضافة إلى دراسة الاتجاهات. فقد صدرت دراسات خاصة بالأنثروبولوجيا السيكولوجية، التي تعنى بالظواهر السيكولوجية لبني البشر حين يعيشون في طبقة أو جماعة، حيث أن الطبيعة الإنسانية من صميم علم النفس العام، كما أنها عامل حتمي في تكوين النظم الاجتماعية / الإنسانية.

ولذلك نرى أن المهمة التي تواجه الباحث الأنثروبولوجي، لا تختلف عن تلك المهمة التي تواجه عالم النفس. فكلاهما عليه أن يستخلص صفات الشيء الذي هو موضوع دراسته، من التعبير الخارجي في السلوك .. وإن كان عالم الأنثروبولوجيا يعوّقه اضطراره إلى إدخال خطوة إضافية في مستهلّ عمله. فبينما يستطيع عالم النفس أن يلاحظ سلوك موضوع بحثه بصورة مباشرة، ينبغي على عالم الأنثروبولوجيا أن يبني استنتاجاته على الأنماط المثالية للثقافة التي يتناولها بالبحث.

ولكن مهمة عالم الأنثروبولوجيا في محاولاته لكشف خفايا الأمور، تشبه مهمة عالم

النفس في الجهود التي يبذلها في سبر غور العقل الباطن. وفي كلا الحالين، تتألف النتائج التي يتوصل إليها الباحثون من سلسلة تأويلات، أمّا الحقائق التي تستند إليها هذه التأويلات، فكثيراً ما تكون قابلة لأكثر من تفسير.

لذلك، تعدّ دراسة الأنثروبولوجيا دراسة لأنماط السلوكية الإنسانية، بينما تعدّ الدراسة النفسية دراسة للسلوك الخاص بالشخصية الفردية، وأن كانت تتأثر بالعلوم الاجتماعية¹.

إن حاجة علم النفس الى علم الانثروبولوجيا والعكس أدت إلى ظهور فرع من فروع الانثروبولوجيا قائم بنفسه عرف بالانثروبولوجيا النفسية، وموضوعها الثقافة والشخصية. ويعد الباحث سابير *sapir* من الاوائل الذين اسسوا لهذا الفرع المعرفي حيث اوضح انه لكي يفهم الباحث الثقافة يتعين عليه اخذ خصائص تنظيم الشخصية وتكوينها في الاعتبار.

كما اوضح كلاكهون *kluckmohn* ان بعض المفاهيم السيكوتحليلية مثل التناقض الوجداني قد ساعدت على فهم الظواهر المحيرة مثل المعتقدات والممارسات التي تدور حول الموت كما ساهم الاسقاط في فهم المخاوف المرتبطة بالعرافة والسحر وكذلك اوجه الشبه بين حالات العصبية القهرية والانشطة الطقوسية الاخرى وغيرها من الامثلة².

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم السكان:

يدرس علم السكان:

1- التركيب النوعي للسكان كالشعوب والقبائل.

2- التركيب العمري (فئات الأعمار).

¹ عيسى الشماس ، مرجع سابق ، ص 39-40.

² يحي مرسى عيد بدر : مرجع سابق ، ص 65-66.

3- التركيب الحركي (الهجرة والولادات والوفيات).

- وهنا يأتي الباحث الأنثروبولوجي ليستفيد من علم السكان، لأنه باحث يريد معرفة البنية، السكانية للمجتمع المدروس، ومعرفة تركيبه العمري والنوعي.

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التاريخ:

يعتبر التاريخ من أكثر العلوم الاجتماعية صلة بفروع الأنثروبولوجيا لاسيما في مرحلة النشأة و التكوين ، و يعود ذلك لأسباب كثيرة منها تمركز الدراسات الأنثروبولوجية في بدايتها حول نظرية التطور و التي كانت قد اقترنت خلال القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين بازدهار الاتجاهين التطوري و الانتشاري حيث لا ينفصل التفسير التاريخي عن أي من المشكلات التي تركز على البعد الزمني و تهتم بما في النظام و الثقافات و يلخص العالم الإنجليزي " نادل " علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ فيذكر أن المؤرخين يهتمون بالأحداث التي وقعت و مضت ، بينما يدرس الأنثروبولوجي الأحداث التي وقعت و ما يحدث بالفعل (أي في الحاضر لا الماضي)¹.

و إذا كان التاريخ يهتم بالأحداث الفريدة أو غير المتكررة التي لا تحدث إلا مرة واحدة فإن الأنثروبولوجيا تبحث عن المتشابهات و المتواترات أو الأنماط الشائعة ، و إذا كان المؤرخون يهتمون بمتابعة الأحداث في الماضي من خلال خط الزمن و التركيز على الأبعاد السياسية مثل نشأة الإمبراطوريات و تبدل الحكام و تغير الحكومات فإن الأنثروبولوجيا تهتم بوصف الأحداث و تحليلها و البحث عن مسبباتها و مساراتها².

¹ - محمد عبد المعبود مرسى ، مرجع سابق ، ص 128-129.

² - نفس المرجع - ص 130

من خلال استخدام المنهج المقارن في التاريخ لفهم التطورات الثقافية و الاجتماعية على حد تعبير فرانز بواس الذي يرى أن الظواهر الاجتماعية و الثقافية يجب النظر إليها

من زاوية كيف انتهت إلى هذا الشكل الحالي دون الآخر، و في ذلك فهم جديد للتتابع الزمني بمعنى أو استمرار الوقائع الاجتماعية و مباشرة سيرها عن طريق الجماعات المحددة في المكان و الزمن يؤدي لمعرفة أكثر يقيننا وواقعية ، فالتاريخ في رأيه هو تاريخ الزمن الحاضر ، أو الإدراك المرتبط بالزمن جزئيا و ليس الماضي بكل تجسيدات¹

علاقة الانثروبولوجيا بعلم الآثار:

هناك ارتباط وثيق بين العلمين إذ أن علم الآثار يعتمد على الدراسات التتبعية، يتتبع من خلالها المجتمعات و الثقافات القديمة من خلال دراسة مخلفاتها و آثارها، ويعيد بعد ذلك رسم صورة الأشكال الثقافية الماضية، وذلك بتتبع نموها و تطورها عبر الزمان. وما يعثر عليه الباحث التاريخي من آثار، يستفيد منه الباحث الانثروبولوجي في وصف الثقافة القديمة وربطها بالبيئة الطبيعية التي وجدت فيها، ومن ثم معرفة حضارة الإنسان الكلية عبر هذه المواد التي يجدها عالم الآثار.

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم اللغويات:

اللغة هي الوسيلة التي يعبر بها الإنسان عن ذاته، وذلك يعبر الإنسان عن سلوكه الاجتماعي باللغة ويرمز بها لعناصر حضارته.

- وعلم اللغويات تدرس جميع لغات البشر، والحياة منها أم المندثرة المتطورة أم البدائية، حيث يتركز البحث على أصول اللغات و تطورها و بناءها.

¹ - محمد عبد المعبود مرسي ، ص 132

- من جملة المتخصصين في دراسة اللغات هم فقهاء اللغة وهم يبحثون في اللغة على اعتبار أنها وسيلة لفهم التراث الأدبي لأي شعب ومن هذا المدخل يرتبط علم الأنثروبولوجيا بالدراسات اللغوية: حيث من خلال اللغة يفهم الأنثروبولوجي، العادات والتقاليد والثقافة. وكذلك معرفة مكانة شعب من الشعوب بمكانة لغته وثقافته مثل:

- الرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والمناسبات الدينية.

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التشريح والأعضاء والوراثة:

تقدم هذا العلوم موضوعات عن الإنسان من الناحية البيولوجية أو العضوية. وهذا هو موضوع الارتباط بين العلمين حيث استبد الأنثروبولوجيا على الأصول الأولى للإنسان وخصائصه العضوية وشكله...

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا:

الجيولوجيا تتعلق بعلم الحفريات القديمة وهي مصدر رئيس لعلم الأنثروبولوجيا. إذ من خلال هذا العلم يمكن تحديد عمر البقايا العظمية لإنسان ما قبل التاريخ مثلاً، ودراسة حضارته وثقافته، وهي مادة علمية للأنثروبولوجيا.

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التربية:

التربية علم يدرس عموماً التنشئة الاجتماعية النمو المتكامل للشخصية الفردية، فعلم التربية يدرس ما يلي:

- مراحل نمو الفرد في المجتمع والمشكلات التربوية التي تواجه كل مرحلة من هذه المراحل.

- كيف يتكيف الفرد مع المجتمع عبر عملية التنشئة الاجتماعية.

وتلك الموضوعات هي من أهم مجالات علم الأنثروبولوجيا، في المجتمعات البدائية، حيث كانت الأسرة والعشيرة والقبيلة هي المؤسسة الاجتماعية التي تقوم على

عملية تربية الطفل وتنشئته وهي من أهم دراسات علم الإنسان. إذن أصبحت موضوعات التربية محورا أساسياً في الدراسات الأنثروبولوجية.

علاقة الأنثروبولوجيا بطب المجتمع:

- يبحث طب المجتمع في علاقة الصحة العامة بالوعي الاجتماعي عند الأفراد، ومدى تأثر الصحة العامة بالمستوى التكنولوجي والقيم والعادات والأعراف كمؤشرات هامة للحياة الصحية.
- ويبحث طب المجتمع علاقة الطب الشعبي بالمعتقدات الشعبية المبنية على الفكر الخرافي والشعوذة وأشكال السحر وما إلي ذلك. ومن هنا نجد العلاقة التبادلية التكاملية بين الأنثروبولوجيا وطب المجتمع.

الانثروبولوجيا و الجغرافيا :

- إن الاهتمام بالدراسات الجيولوجية و الأزمنة القديمة و نشأة الحياة على سطح الأرض و علاقة الإنسان بالبيئة هي المواضيع المشتركة بين علم الجغرافيا و الانثروبولوجيا حيث تهتم الانثروبولوجيا الفيزيكية بتفسير تأثير العوامل الطبيعية على بناء الجسم و التنوع البشري و توزيع الأجناس البشرية عبر مناطق العالم و تحديد خطوط الهجرات السكانية الأولى عبر القارات و الأماكن الأولى التي نشأ فيها الإنسان و يعد فرع القياس الجسمي -الانثروبوميترى- من أهم التخصصات الدقيقة في الانثروبولوجيا يعتمد في جانب منه على تقارير علماء الأجناس و المتخصصين في الجغرافيا البشرية كما أن التفسير الايكولوجي يعد من أقوى الاتجاهات العلمية في تحليل أثر البيئة الجغرافية على الظواهر الاجتماعية و الثقافية و النفسية¹ .

¹ محمد عبد المعبود مرسي، مرجع سابق ، ص134-135.

- الانثروبولوجيا و علم الاقتصاد :

تلتقي الانثروبولوجيا بعلم الاقتصاد في محاولة الكشف عن دور الثقافة والنظم الاجتماعية في تشكل العمليات و الحقائق الاقتصادية أو بعبارة أخرى تأثير الظواهر الاجتماعية و الثقافية على الظواهر و العمليات الاقتصادية في ضوء الدراسات الأنثروبولوجيا الحقلية البحوث السوسولوجية ذات الطابع الاقتصادي و على هذا الأساس ظهر فرع قائم بذاته يعرف بالأنثروبولوجيا الاقتصادية التي تهتم بالمشكلات و القضايا الاقتصادية في المجتمعات البسيطة البدائية و الريفية ، ومن الموضوعات الهامة التي تدرسها اختراع الإنسان للوسائل الإنتاجية و استخدامه التقنيات المختلفة في الإنتاج، مشكلات البعد الإنساني في علاقات العمل ، نظم العيش ، الادخار ، مشكلات التنمية في الدول المتخلفةالخ¹ .

II- منهجية البحث الانثروبولوجي :

1- تعريف المنهج:

كلمة منهج في معناها اللغوي مشتقة من نهج الطريق أي سلكه وسار فيه، والمنهج هو الطريق المستقيم والمناهج هي الخطة المرسومة، والمنهج هو الطريق البين إلى الحق في أيسر سلبه، ويقابلها في اللغات ذات الأصل اللاتيني في الفرنسية Méthode وفي الإنجليزية Method وكلها مأخوذة عن اللاتينية Methodus المأخوذة بدورها من اليونانية Methodos وتعني " بحثا " وقد استعملها أفلاطون بمعنى " المعرفة " واستخدمها أرسطو بمعنى " البحث " وبالتالي يكون معناها طريقة العلم أو الطريقة العلمية، إذن فالمعنى الإجمالي من كل اللغات يشير إلى الطريق الذي يسلكه الباحث للوصول إلى الحقيقة العلمية.(2)

¹ محمد عبد المعبود مرسي، مرجع سابق ، ص137.

2- ميلود سفاري: أساسيات في منهجية وتقنيات البحث في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة قسنطينة، 2006/2005، ص 06.

يجمع أغلب المفكرين على تعريف المنهج على أنه أسلوب في الاستقصاء ونحوه، لكن المفكر رايت ميلر (C.Wright Mills) يعطى تعريف مغايرا تماما لهذه المعاني حيث يقول: « يهتم المنهج في المقام الأول بكيفية طرح الأسئلة والإجابة عنها مع التأكد من أن هذه الأجوبة تتمتع بقدر معين من الديمومة » (1)

وقد وردت كلمة منهاج في القرن الكريم في سياق الحديث عن الشرائع التي أنزلها الله على أنبيائه من توراة وإنجيل حيث قال: [وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهمينا عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة] (المائدة : 48).

2- علم المناهج (المنهجية):

جاءت كلمة المنهجية أو علم المناهج من كلمة Méthodologie / Methodology في اللغات الأوروبية مركبة من كلمتين: Méthode / Method ومعناها الطريقة وكلمة Logie / Logy ومعناها في الأصل اللاتيني " علم " أو " دراسة " على درجة عالية من التجريد وتترجم هذه الكلمة إلى العربية مرة على أنها " منهجية " كما هو معتمد في الغالب في المقررات الدراسية الجامعية، وتعرب أحيانا أخرى تحت تعبير " علم المناهج ".

وقد تعددت مستويات استخدام هذا المصطلح وتعددت فهومه بحيث أصبح يحمل معاني مختلفة وحتى متباينة أحيانا، كما تفرعت التصنيفات التي وضعها له علماء الاجتماع خاصة بين كونه تخصصا علميا أم هو تخصص فلسفي يمثل أحد فروع الفلسفة وخاصة المنطق أم هو عبارة عن الإجراءات العامة للبحث أي أنماط الاستقصاء وأساليبه وتقنياته، وهناك من يذهب إلى وصف المدارس الفكرية بمختلف توجهاتها بأنها تمثل أنماطا متميزة للتفكير أو مناهج للتفكي تفرض مناهج للبحث. (2)

ومما نخلص إليه من تعاريف مختلفة للمناهج أنها التقنيات والأساليب التي يستخدمها الباحث أو العالم في علم معين من العلوم المختلفة لمعالجة ظاهرة ما قصد

1 - ميلود سفاري، المرجع السابق، ص08.

2- نفس المرجع، ص 11-15.

فهمها وفك عناصرها ومركباتها المختلفة (من معاني ودلائل وجزئيات ... إلخ) للوصول إلى قوانين وحقائق منطقية يقبلها العقل ويقتنع بها الدارسين.

3- المنهج العلمي وأهدافه:

نبدأ هذا العنصر من تحديد أهداف العلم كما جاء في مؤلف "التفسير العلمي" للمفكر براتويت Braitwait حيث يوضح وظيفة العلم: « إن وظيفة العلم هي إقامة القوانين العامة التي تحكم اكتشاف الأهداف الواقعية، أو المسائل التي يبحثها، ومن ثم مساعدنا على الربط بين ما توصلنا إلى معرفته من أحداث كما يمكننا من التوصل إلى تنبؤات ثابتة بتلك الأحداث التي لا تزال غير معروفة ويقول مارشال ووكر M. walker في مؤلفه "طبيعة التفكير العلمي" من أن فهم الوقائع هو الوظيفة الرئيسية للعلم، والفهم هنا يعبر تعبيراً صادقاً عن النتيجة الأخيرة للبحث عن الحقيقة، ويستخدم العلماء كلمة الفهم بمعنى اصطلاحى محدد، فإذا تم التنبؤ بحادثة معينة عن طريق قانون ثبتت صحته في التنبؤ بحوادث أخرى مماثلة والتأكيد على أن وظيفة العالم هي الملاحظة، والوصف، والتحليل والتفسير، في حين ركز جميع المفكرين على النتائج التي يريد العلم أن يتوصل إليها ممثلة في فهم الظواهر من خلال بحث علاقاتها بغيرها من الظواهر التي تسبقها، أو تلازمها ثم استخدام هذه العلاقة الوظيفية في التنبؤ بنتائج أخرى لمواقف جديدة، وأخيراً استخدام كل من الفهم، والتنبؤ في السيطرة، والتحكم في الظاهرة، وذلك عن طريق توجيه الظروف التي ترتبط بحدوث هذه الظاهرة. (1)

كما تناول باحثاً آخر هو "فوراستيه" أهداف العلم من خلال التركيز على المنهج أو خطوات البحث العلمي والأهداف التي تحققها كل خطوة من خطوات البحث. ويوضح فوراستيه « أن المسعى العلمي يمكن تحليله إلى ثلاثة أوجه كبيرة أو ثلاث خطوات أو ثلاث مراحل رئيسية، وهي: ارتياد الوقائع وإنضاج الفرضية، ومراقبة الفرضية والانتقاع بها»

1- عبد الله عبد الغني غانم: طرق البحث الأنثروبولوجي، الطبعة الأولى، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003، ص ص 31-32.

أ- **ارتياح الوقائع:** والمقصود بها هي المئات أو الألوف من الملاحظات التي يجمعها الباحث وتتمثل في وصف الظواهر والوقائع الكثيرة شريطة أن نطبق بدقة قواعد الملاحظة العلمية بما يرتبط به من إجراء التحري، والمراقبة والمقابلة وتسجيل المشاهدات واستخدام الأدوات المساعدة أو اللازمة في إتمام الملاحظة العلمية.

ب- **إنضاج الفرضية:** الفرض العلمي هو تخيل وجود علاقة أو رابطة غير مدركة تصل بين بعض الحقائق الملاحظة ويعتبر اكتشاف هذه الرابطة من أكثر الأعمال العلمية أهمية، فعلى أساس الملاحظة قد تبنى الفروض، لتوضيح العلاقات بين الحقائق، كما قد تبنى الفروض على أساس الاحتمالات والحدس أيضاً، فعندما يشير الحدس إلى تفسير محتمل لفكرة حيوية ومحورية، فإن ذلك يعتبر أساساً لبحث مثير ويعد ذلك بمثابة فرضاً تفسيرياً، أو إجرائياً، فالفرض العلمي ما هو إلا تصور لعلاقات متبادلة بين عدد من المفاهيم، أو فكرة تأتي عن طريق الحدس بشأن علاقة بين متغيرين، أو بين عدد كبير من المتغيرات، وللفرض أهمية كبيرة في البحث العلمي، إذ أن الفرض هو الذي يوجه الباحث إلى اختيار الحقائق المناسبة، واللازمة لتفسير الظاهرة موضع البحث حتى لا يضل طريقه في خضم الحقائق البعيدة عن الموضوع، أو عديمة الصلة به. (1)

ج- **مراقبة الفرض والانتفاع به:** المقصود بمراقبة الفروض التحقق من صحتها والانتفاع بالفرض، واستخدامه في تحقيق ملاحظات جديدة، بل وتجارب جديدة أيضاً حيث يسمح الفرض باستقراء صحيح لأحداث كانت تبدو مفككة، أولم تكن " ملاحظة أصلاً"، والوصول إلى قوانين عامة يمكن الرجوع إليها في تفسير جميع الظواهر وعند التوصل إلى القانون الذي يحكم الظاهرة يسهل التحكم فيها والتنبؤ بها أيضاً ويقتضي مراقبة الفرضية أو التحقق منها عمل تجارب متعددة ومتجددة، تثبت أن العامل موجوداً حيث لم يكن منتظراً وجوده، وتوضح تفسير الفرض للوقائع التي لم تكن نفهمها من قبل. (2)

1- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 35-36.
2- نفس المرجع، ص ص 40-41.

4- الاتجاهات النظرية في الدراسة الانثربولوجية:

انطلاقا مما رأيناه نرى أن الدراسة الانثربولوجية قد تنطلق من منطلق واحد وأن لا تكون لها نفس المداخل وتنتهي إلى نفس النتائج، وعلى هذا الأساس فقد سار علماء الانثربولوجيا في اتجاهات ومسارات مختلفة وكلها تهدف إلى دراسة وفهم الإنسان في ماضيه وحاضره من منظور كلي، واختلاف هذه المداخل أدى إلى ظهور اتجاهات مختلفة في دراسة الإنسان أو الظاهرة الأنثربولوجية وتتمثل هذه الاتجاهات في:

1- الاتجاه التطوري :

كان اعتقاد الفلاسفة الأوائل (القرن 17 وحتى 18 م) إن البشرية تتطور باتجاه التقدم الدائم وإن المجتمعات تتجه إلى الانتقال من حالة البساطة النسبية في تنظيمها إلى حالة أكثر فأكثر تعقيدا وتمايزا.

وضع تورغو (1727-1781) نظريته حول مراحل النمو يتوالى بموجبها القناصون الرحل ثم مربو المواشي وأخيرا المزارعون وتمتاز هذه المراحل بمؤسسات ومعتقدات مختلفة.

جاء الكثير من هذه الأعمال للعلماء فيما بعد تؤكد هذا:

-لامارك (1744-1829) وصف التطور الحيوي(البيولوجي) بأن الوسط الطبيعي يساهم في تغيير الكائنات الحية وتحويلها.

- داروين (1809-1882) يقول أن التكيف ضروري للبقاء على قيد الحياة؟، وأن التكيف تدفع الجنس الحيواني الواحد إلى التطور باتجاه أشكال اعقد فأعقد له كتاب هام (أصل الأنواع بناء على الانتقاء الطبيعي 1859)، ثم أيضا العالم الانكليزي سبنسر (1820-1903) من مؤسسي الانثربولوجيا البريطانية وكتابه (أصل الأجناس).

الاتجاه التطوري ورواد الأنثربولوجيا المجتمعية:

كان أول تيار فكري في تاريخ الأثنولوجيا والانثروبولوجيا (بين عامي 1850 و 1910 تقريبا). وما سنركز عليه هنا: كيف تعاطت هذه المدرسة مع العلم الذي عملت على إنشائه من حيث الموضوع والمنهج؟

الموضوع: تدرس مختلف الشعوب التي تعاقبت عبر الزمن في مختلف أنحاء العالم، كما تدرس إنسان المجتمعات الغابرة والمعاصرة، هذا الإنسان الذي يعرفه التطوريين بأنه: «صورة عن أجدادنا القدماء وعن مجتمعه الذي كنا قد شهدناه في ما مضى». وموضوع البحث الأساسي هو أن نفسر تاريخيا مختلف المراحل التي مرت بها البشرية عبر اكتشاف "القوانين" التي أتاحت الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، حيث مثلت كل مرحلة " حلقة من الحلقات المتتالية" في هذا التطور، كذلك البحث في كيف ظهرت هذه التغيرات؟ وما هي الصيغ التي اتخذتها في مختلف قطاعات حياة تلك المجتمعات، من تنظيمات مجتمعية بشكل عام، وأنظمة سياسية، ونظم قرابية، ومعتقدات دينية... الخ وأخيرا كيف نشأت بعض المؤسسات بالذات، كمؤسسة الزواج، أو كمؤسسة الدولة؟

المنهج: يستعين التطوريون بوجه خاص بالتاريخ ويعتمدون عليه. لكنه التاريخ التخميني أو الافتراضي وحسب. إذا انه لا يملك بالنسبة لهذا النمط من المجتمعات تلك المسندات التي يعتمدها البحث التاريخي التقليدي (أي الوثائق المكتوبة التي تؤكد صحة حدث تاريخي ما).

فالباحث التطوري كثيرا ما يفترض تحركات معينة لقوم معينين أدت إلى ولادة هذا الشعب أو ذلك، أو نجده يتخيل أنماطا من السلوك أو المعتقدات انطلاقا من مؤشرات واهية، إذ كثيرا ما تكون المؤشرات المذكورة عبارة عن روايب لبعض العادات والأعراف المعتبرة بمثابة الذخائر المتبقية من مرحلة سابقة (هذه هي نقطة الضعف في المنهج التطوري، وهي أيضا النقطة التي تركزت عليها معظم الانتقادات).

إن المقاربة التاريخية (التطورية) في الدراسة تفترض دراسة الظواهر التي تحتم الانتقال من مرحلة إلى أخرى، بحيث تقول هذه الحتمية التاريخية إلى تفسير سببي ،

كان نقول أن وجود هذا الاكتشاف أو تلك المؤسسة أو تلك الظاهرة، لا بد أن يتبعه تغيرا مجتمعيًا ، أن لم يكن تحولًا كليًا للمجتمع.

مثال: الانتقال من مرحلة القنص إلى مرحلة تربية المواشي ثم مرحلة الزراعة، أتاح إمكانية الاحتفاظ بفائض إنتاجي مما سيؤدي إلى ظهور نشاطات جديدة كالتجارة وبالتالي ظهور فئات اجتماعية وطبقية وإجحاف في حق البعض الآخر، كما ساهم في تغير نظم الزواج والأسرة، والانتقال من " التبادل الحصري" للزوجات إلى نظام " المهور" بسبب تشكل رأسمال عند الأفراد...الخ. (التفسير السببي).

كما ظهر فيما بعد اعتقاد عند التطورين بوجود مسيرة خطية واحدة لمجتمعات عبر الزمن بأن كل مجتمع لا بد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى، دون أن يكون بوسعها مواجهة شكل آخر من أشكال التطور. (نظرية وحدانية الخط).

كما لجا البعض من التطورين إلى اعتماد المنهج المقارن (مقارنة الثقافات المجتمعية إلى بعضها البعض) معتمدين المجتمع الغربي (الأوروبي) نموذج مثالي عن التطور.

من رواد التطورية: باشوفن (1815-1887) بسويسرا.

- ج-ف ماكلينان (1827-1881)، هنري مين (1822-1888)، وادوارد. ب، تايلور (1832-1877)، روبرستون سميث (894-1846)، في إنجلترا وفي أمريكا: لويس هنري مورغان (1818-1881)، وجيمس فريزر (1854-1941)، ادوار.ب تايلور (1832-1971)أمريكي من أصل انجليزي.

من أفكار التطورية : فكرة الدين:

الطقوسية، السحر، الديانات السماوية (الإله)، ثم فكرة (مرحلة العلم).

2- الاتجاه الانتشاري:

تعتمد المدرسة الانتشارية، شأنها شأن التطورية، بالمساواة بين البشر وبالتفاوت بين الثقافات.

والانتشارية ترى أن نمو المجتمعات يتم أكثر ما يتم عن طريق الأخذ والتقليد وذلك بفعل الاحتكاكات الثقافية بين الشعوب، وهي احتكاكات أكثر بكثير مما يظنه التطوريين. والانتشارية لا تدرس الثقافات باعتبارها نماذج متمثلة بمراحل متعاقبة عبر الزمن، بل هي ترفض اعتبار البشرية بمثابة الكائن الذي تنمو الخلايا المغلقة والمنطوية على ذاتها، بحيث تتطور كل منها على حدى مع تقدم الاختراعات (أطروحة مورغان)، بل ترى الانتشارية أن هذه الاختراعات، فضلا عن العناصر الثقافية تنتشر من مجتمعات إلى أخرى مجاورة لها، غما بفعل الهجرات وإنما بفعل الحروب.

إن الانتشارية تبحث في صيغ انتشار الثقافات (من ثقافة إلى أخرى)، كيف ينتقل عنصر ثقافي من مجتمع إلى آخر؟ وإذا كانت نظرتها لأخرى:موضوع نظرة تاريخية تتناول دائما كيفية حصول التغير عبر الزمن، فإنها تصبح إلى ذلك نظرة جغرافية، فلا يعود السؤال مقتصرًا على الصيغة التالية: " لماذا نجد أن الثقافات متنوعة؟ بل صار يطرح بصيغة أخرى: " كيف كان لهذا التنوع أن يحصل؟

وكان من أوائل المؤسسين لهذه المدرسة فرانز بواس (1858-1942) في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الثلاثينيات زادت حيوية هذه النظرية خاصة في ألمانيا خاصة مع أطروحات الباحث الجغرافي راتزل (1844-1804) وفكرة " العملية المحظرة" الذي أكد على تأثير الهجرات البشرية في انتشار الاختراعات والتقنيات التي تتيح لبعض الثقافات أن تفرض نفسها على غيرها.

كذلك تلاميذه من أمثال "غرابنر (1877-1934) و ل.فروينوس (1873-1938) اللذان طورا مفهوم " الدائرة الثقافية" (المنطقة الثقافية).

ويتحدد مفهوم المنطقة الثقافية / الدائرة الثقافية/: بأنه مجموعة جغرافية تتصف بتمائل السمات الثقافية، من مؤسسات ومعتقدات وتقنيات، وهي ثقافية ذات أبعاد معينة.

ويقوم هذا المفهوم حسب المدرسة الأمريكية على تقسيم وتجزئة الثقافة الواحدة إلى سمات أو عناصر ثقافية (تقنيات، نوع القوس أو البندقية، مؤسسات كالمملكة أو الزواج...) ثم جمعها في مركبات ثقافية (مجموعة السمات الثقافية المتضافرة التي تنتمي إلى ثقافة واحدة).

ملاحظة : أول من استخدم مفهوم " الدائرة الثقافية" هو " ويسلر " ، انظر علي الشماس".

وانطلاقا من دراسة توزع مختلف السمات والمركبات في منطقة معينة يصل الباحث إلى:

- التوزع المكاني لمختلف هذه السمات والمركبات، بحيث ترصد أماكن تكاثرها وأماكن ندرتها مما يساعدنا انطلاقا من التوزع المذكور، على تعيين ساحات ثقافية متجانسة إلى هذا الحد أو ذلك.

- ثم يصل بناء على توزع هذه العناصر الثقافية مكانيا إلى تحديد مسارات انتشار هذه التقنيات أو تلك، أو هذه المؤسسة أو تلك، وذلك بناء على العلاقات التاريخية القائمة بين مختلف هذه الثقافات والجماعات.

يكفي لذلك أن يرصد الباحث في البداية تلك المواصفات الأساسية التي تمتاز بها ثقافة ما، ثم يميز بينها عن طريق رصده لوجود هذه السمات أو غيابها.

اعتمدت الدراسة الانتشارية اعتمادا مبالغا به، على مسلمات (فالمسافة الجغرافية لا أهمية لها بالنسبة للانتشار، مهما كانت بعيدة)، ونادرا ما تنظر إلى الإنسان باعتباره خلاقا ومبدعا، فيتلخص تاريخ البشرية بسلسلة من الاستعارات الثقافية، انطلاقا من بؤر (مناطق) معينة تولت بث الحضارة ونشرها.

من رواد المدرسة الانتشارية:

في بريطانيا : ج.اليوت سميث (1871-1937)، وج. بييري (1887-1950) وفي أمريكا : فرانس بواس (1858-1942) و " مدرسة التاريخ والثقافة"، أ.ل كروبر ، و ر.و. لوي وإ.سابير و م.ج مرسكوفيتز. ومارسيل موس في فرنسا.

مثال عن الانتشارية:

دراسة تيسلر في و.م. ا على قبائل هنود السهول (31 قبيلة) موزعة على كل و. م. أ شرقا وغربا.

توافقت مع هذه الثقافة النمطية 11 عشرة جماعة من أصل 31.

- (06) جماعات منها على جهة الغرب من المنطقة الثقافية ظهرت بعيدة عن هذا النمط إذ أنها (تمارس الدباغة) ولا تعتمد (رقصة الشمس).
- و (14) جماعة من جهة الشرق اعتبرت هي الأخرى هامشية إذ أنها تعيش على الزراعة المكثفة وتعرف الغزل والحياكة ولم تعد تعرف رقصة فروة الرأس.

نموذج فيسلر (و. م. أ) خصائص عامة (المنطقة الثقافية).

عناصر مفقودة	عناصر موجودة	
صيد -	خشب وحجر.	تقنيات
زراعة -	جلود.	
دباغة -	أشغال على لألئ زجاجية	
فخار -	ألبيسة من جلد الجاموس	
حياكة.	والأيل.	
	استخدام البيسون.	
	اعتماد الكلب لشؤون النقل.	
	مساكن متقلة.	
	فن هندسي.	

	- عصابة - مجتمع رجالي .	تنظيم
	- رقصة الشمس. - رقصة فروة الرأس.	دين

يطلق على المدرسة الانتشارية تسمية المدرسة الهيلوليثية. Heliolithie.

ملخص الانتشارية:

الاتجاه الانتشاري يعتمد على أن نشأة الحضارة الإنسانية كلها ترجع إلى مصدر (مجتمع) واحد ، ومنه انتشرت إلى أماكن أخرى في العالم، ويوجد الاتجاه الانتشاري في كل من الانثروبولوجية الثقافية والانثروبولوجيا الاجتماعية، وإن أخذ طابعا خاصا في كل منهما، فتطبيق الاتجاه الانتشاري في المجال الانثروبولوجي الثقافي يتعلق ب: جمع العناصر الثقافية، بما في ذلك العناصر التكنولوجية والفكرية، بينما في المجالات الاجتماعية فيقتصر على العلاقات والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي تشمل بعض العناصر الثقافية، ولا تشملها كلها.

• قامت الانتشارية على وجود نظريتين مختلفتين حول التفسير الانتشاري

لعناصر الثقافة:

النظرية الأولى: هي النظرية الانتشارية التي تعتمد الأصل المركزي الواحد للثقافة/ الحضارة: سادت في إنجلترا- من روادها: اليوت سميث، وتلميذه: وليم بييري وقالت بأن الحضارة ظهرت من 5000 ق.م على ضفاف النيل (مصر القديمة).

النظرية الثانية : النظرية الانتشارية التي تعتمد الأصل الثقافي / الحضاري، المتعدد المراكز في ألمانيا والنمسا ومن روادها: فريتز جرينور (1875-1934).

وليم شميدث (1868-1959) (صاحب المدرسة الثقافية التاريخية): افترضوا وجود مراكز حضارية أساسية وعديدة، في أماكن متفرقة من العالم، وتنشأ من التقاء

هذه الحضارات بعضها مع بعض، دوائر ثقافية تفاعلات ببعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة.

(نقد: لم يقدم أصحاب هذه النظرية الأدلة على أماكن وجود تلك المراكز).

3- الاتجاه الوظيفي:

تعد المدرسة الوظيفية من أهم التيارات الفكرية التي طبعت تاج ونظريات عدد كبير من المؤلفين والباحثين البارزين من ميدان الدراسات الأنتروبولوجية من أمثال مالمينوفيسكي وراي كليف راون في بريطانيا وحتى اميل دوركهايم أب علم الاجتماع الفرنسي ومؤسس الأنتروبولوجية الفرنسية وكذلك مارسيل موس في فرنسا وكان فرانس بواس في المدرسة الأمريكية من الأوائل الذين طرحوا فكرة " الوظيفة " وأكدها تلامذته من أمثال روث بندكيت، وراي لينتون، إن الوظيفة تقوم أساساً على فكرتين أساسيتين:

الأولى: هي أن المنهج الوظيفي يسمح بدراسة ظاهرتين أو عدة ظواهر بأن ينظر إلى الدور الذي تقوم به بعض هذه الظواهر قياساً على ظواهر أخرى مثل العلاقة التي تقوم مثلاً بين الشأن الاقتصادي أو السياسي من جهة، وبين الشأن الديني من جهة أخرى.

أما الثانية: فهي أن المنهج الوظيفي لا ينحو يتجه نحو دراسة الدور التي تقوم به ظاهرة من الظواهر قياساً على ظاهرة أو ظواهر أخرى (والعكس بالعكس) وحسب، بل يتجه أيضاً نحو دراسة الدور الذي تقوم به الظاهرة المذكورة قياساً على المجتمع ككل⁽¹⁾.

رغم هذا العموم الذي يقوم عليه المنهج الوظيفي فإن الوظيفيين أنفسهم قد ذهبوا في نظرتهم إلى مفهوم الوظيفة مذاهب مختلفة.

1 - فتحة محمد إبراهيم، مصطفى حمدي لشوناني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988. ص 33.

المذهب الأول: يقتصر هذا المذهب على مجرد السعي إلى إقامة الصلة بين ظواهر معينة، وإلى دراسة فعلها المتبادل بينهما، خاصة عندما تكون عرضة للتبدل، مثلا إذا كان الشأن الاقتصادي يحدد الشأن (الأيدولوجي) فإن هذا الأخير (الأيدولوجي) قد يكون له أحيانا أن يؤثر على الاقتصاد.

أما المذهب الثاني: فالوظيفة ترى هنا باعتبارها " المساهمة التي يقدمها نشاط جزئي ما للنشاط الكلي الذي يندرج (النشاط الأول) ضمنه باعتباره جزءا منه نظرا لأن من المفترض بمجمل الأجزاء التي يتكون منها نظام ما أن تتعاون بقسط كاف من الانسجام والتماسك حتى لا تولد أزمات دلائل تحتها ف: راد كليف براون صاحب هذا المذهب ينظر إلى وظيفة أي نشاط أو أية ظاهرة (كمعاقبة الجريمة أو الاحتفال المأتمى، باعتبارها الدور الذي تقوم به هذه الظاهرة في الحياة المجتمعية ككل، وبالتالي في المساهمة التي تقدمها من أجل الحفاظ على ديمومة النظام.

أما المذهب الثالث والأخير: وهو مذهب مالينوفسكي الذي يضيف إلى الشروط المذكورة شرط الاستجابة لحاجات المجتمع بما فيها حاجاته الأولية، أي حاجته البيولوجية، كالمأكل والمأوى والمنكح فهو يرى أن كل ثقافة من الثقافات إنما تنهض "على العلاقة العضوية القائمة بين كل أجزائها، على الوظيفة التي يضطلع بها هذا التفصيل أو ذلك ضمن نظامه، على العلاقات القائمة بين النظام والوسط الطبيعي والحاجات البشرية" فنحن بالتالي أمام ما جمعوا أكثر من " المساهمة التي يقدمها نشاط جزئي ما للنشاط الكلي الذي يندرج ضمنه باعتباره جزءا منه.

من هذا نرى أن الوظيفة التي ازدهرت بشكل كبير بين عامي 1920 و1950 قد أحدث ثورة على المناهج والمدارس التي سبقتها خاصة التطورية والانتشارية وقد مثل مالينوفسكي هذا التيار (1884-1942) الوظيفي الثوري بشكل خاص وتمثلت نظريته في:

1- الاعتراض على بحاث التي قامت بها التطورية والانتشارية واتهمها بالسخافة لاهتمامها فقط بإبراز غرائب الأمور كالإباحية الجنسية، وقتل الأبناء... إلخ عند الشعوب البدائية، وإهمالها للدراسات التجريبية (الحقلية) لشؤون حياتهم المختلفة.

2- رفضه الدائم للاستعانة بالتاريخ (خاصة التخميني) حتى ولو كان ماضيا قريبا، فالمجتمع ينبغي أن يدرس في رأيه، كما هو عليه في الوقت الحاضر ومن جميع جوانبه، وباءً على المؤسسات التي تتكفل ببقائه على قيد الحياة والتي هي مؤسسات متبادلة التبعية (أي التأثير المتبادل). 3- يشدد على أن من المفترض بكل ظاهرة من الظواهر المجتمعية أن تستجيب لوظيفة معينة، وأنها إذا لم تعد تلبى حاجة بيولوجية أو مجتمعية فإن مصيرها الزوال لا محالة (مثال: العربية التي يجرها الحصان).

أمثلة عن الوظيفة والدور:

الكولا: شكل من أشكال التبادل بين القبائل على نطاق واسع تكون مصحوبة باحتفالات طقوسية ومراسيم معينة، وفي اتجاه معلوم بين القبائل. تقوم الكولا عن تبادل نوعي من الثروات: -العقود (تسمى سلافا *sulava*) من اللآلئ الحمراء وثانيهما الأساور (تسمى موالى *Mwali*) أصداف وللالئ بيضاء. -قيمتها لا تكمن فقط في طابعها الجمالي ولكن طبيعتها المقدسة، فهم يعتقدون في أنها تجلب الأرزاق المختلفة لصاحبها.

تساهم في امتصاص العداء الموجود بين القبائل المختلفة/ وتحدد المكانات في المجتمع. يقول مالينوفسكي: " إن كل احتفال وكل فعل من الأفعال المألوفة يتوافق مع إعطاء شيء معين يعقبه أخذ شيء مقابله، فالثروة التي تنتقل من يد إلى يد وفقا لحركة ذهاب وإياب دائمة، تشكل واحداً من الأركان الأساسية التي يقوم عليها التنظيم المجتمعي، ومرجعية الرئيس، وصلات القرابة المباشرة أو بالمصاهرة.

نظام البوتلاتش *The Potlatch* (حفل تبادل الهدايا)

عبارة عن حفل كبير يقوم به أثرياء القبيلة ويدعى إليه رؤساء العشائر يتناولون في هذا الحفل الأطعمة وتوزيع عليهم الهدايا، وهي مناسبة لإظهار العظمة والتفوق وإبراز المكانة الاجتماعية. ويعتبر الرجل الذي يعطي هدايا كثيرة أو يتخلص من ثروته بحيث لا يستطيع شخص آخر أن يتفوق عليه هو صاحب المكانة الاجتماعية في حفل البوتلاتش ويؤدى البوتلاتش وظائف عديدة: فمن خلاله يتم الإعلان عن الثغرات التي

تحدث في المراكز والمرتببة، كما يؤكد تضامن أو تماسك القبيلة، ويعمل على إعادة توزيع البضائع. (من أنواع البوتلاتش: ب- استيراد الكرامة-ب- الثأر.

-كما للبوتلاتش وظيفة هامة وهي جعل الأفراد يعملون باستمرار لتكوين ثروة كبيرة لمواجهة منافسيهم في حفل تبادل الهدايا.

-أمثلة أخرى: الهبة (الهدية) (الهبة مقابل الهبة والتعامل بالمثل).

-تدمير الثروة في الاحتفالات (الزواج وغيرها...)

-العلاج السحري (الشامان، الساحر...): إظهار شيء معين أمام المريض لأنه

بالاعتقاد بوجود مرض ثم التخلص منه يعطي الفرد الراحة.

-الزكاة، الهدية في الإسلام ... إلخ

-الهدية عند مارسيل موس (Don/ contre don/obligation de donner).

من الانتقادات التي وجهت إلى الوظيفة.

إن الوظيفة التي قامت على فكرة "مساهمة العضو (المجتمعي) الواحد في

استغلال الأعضاء (المجتمعية) الأخرى، وفي الحفاظ على حياة الجسم (المجتمعي)

المتعضي بأسره. مما يعني أن كل مؤسسة، وكل جماعة أو نظام مجتمعي، إنما

يساهم في الحفاظ على استمرارية المجتمع" تجاهلت الخلافات التي يحتفل بها المجتمع،

فضلا عن القوى التي تعمل على فك لحمته ووحدته¹.

يهتم الاتجاه الوظيفي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية (بالتعريف والتفاعل القائمين

بين النظم التي تؤلف حياة المجتمع ككل ونصيب كل نظام منها في المحافظة على

تماسك ذلك المجتمع واستمرار وحدته وكيانه) وأهم وراده راد كلين براون في دراسته لـ:

(الاندامان) ودراسة مالينوفسكي (التروبوباند).

أوضح راد كلين براون كيف تعمل الشعائر والطقوس والأساطير الدينية على

تماسك المجتمع واستمراره وكيف تعطي للمشاعر والعواطف فرصة التعبير الجماعي

دَعْمًا لهذا التماسك.

¹ - فتحة محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص36.

أما مالينوفسكي فقد أوضح كيف يربط نظام الكولا بين مجموعة الجزر في حلقة من عمليات التبادل وكيف كانت هذه الرحلات تحاط باحتقالات وشعائر تكسبها مزيداً من الأهمية على الرغم من أن السلع المتبادلة شعائراً كانت عبارة عن العقود والأساور المضرعة من الأصداف الحمراء والبيضاء.

وفي هذا يقول (إن الكولا نظام كبير معقد، فهي تربط ربطاً وثيقاً بين مجموعة كبيرة من القبائل، ومن الأنشطة التي تتفاعل داخل كيان عضوي واحد) -تقوم فكرتهما على: تأكيد الحاجة للدراسات العقلية الدقيقة، والاهتمام بدراسة النظم الاجتماعية الموجودة بالفعل والنظرة الشاملة للمجتمع أو الثقافة مع التعرف على الدور الوظيفي للعناصر الاجتماعية والثقافية.

مركز مالينوفسكي على الدور السيكولوجي (التحليل النفسي) (متأثر الفرويد) فهو يربط بين الثقافة وبين إشباع الحاجات الإنسانية ويركز مالينوفسكي كثيراً على الاهتمام بالوظائف الثقافية المختلفة للظاهرة أو الشيء المدروس لا بالشكل. لأن الوظائف هي التي تحدد شكل وطبيعة الظاهرة والممارسة والشيء.

[إن أي عنصر مهما كان بسيطاً ومعقداً لن يأخذ هويته الثقافية ما لم تضعه ضمن سياقه الثقافي وأظهرنا كيفية أدائه لوظيفته].

أما راد كلين براون: (فكان يرفض التفسيرات السيكولوجية) والبيرلوجية للظاهرة الاجتماعية فهو يركز على أهمية الوظيفة الاجتماعية للظاهرة في البناء الاجتماعي (يرفض اتجاه مالينوفسكي)

-يحدد " براون " اتجاهه الوظيفي على أساس دراسة العلاقات بين البناء الاجتماعي والحياة الاجتماعية.

ويقول أن وظيفة أي نظام أو عرف أو معتقد أو ممارسة وكذلك أي نشاط اجتماعي متكرر كشعائر الجنائزية أو محاكمات الأفراد وعقابهم. هذه الوظيفة تكمن فيما تحمله هذه العناصر من آثار عن كل البناء الاجتماعي والحياة الاجتماعية أما ملقور الأمريكي سبايرو M.spiro الذي قام بدراسات عقلية استخدم فيها الاتجاه الوظيفي المتأثر بكل ما مالينوفسكي وراي كلين براون، فهو يرى: أن الثقافة تخدم

حاجات الفرد وأن الدور الذي يقوم به هذا الفرد يخدم بدوره النظام الاجتماعي الذي يعيش في إطاره وهذا الالتقاء بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع هو الذي يسمح لأنماط السلوك بالاستمرار وعندما يقوم الأفراد بأدوارهم في إطار النظم الاجتماعية تنبثق ثلاثة أنواع من الوظائف يعمل الأول منها على المحافظة على بناء الأفراد واستمرارهم في المجتمع ويعمل الثاني على المحافظة على النسق الاجتماعي واستمرار عملية التفاعل بداخله، ويعمل الثالث على دعم التماسك الاجتماعي من خلال خوض التوتر سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المعاملات بين الأفراد¹. ص 120

اعتبر مالمينوفسكي الثقافة كأداة لإشباع الحاجات السيكولوجية والبيولوجية للإنسان مثل الأنسال والتغذية والراحة والأمان، وتوجد نظم ثقافية لإشباع الحاجات الأساسية، بينما توجد نظم ثقافية لإشباع حاجات ثانوية والتي تنشأ عنها.

وإذا كان مالمينوفسكي يرى أن الثقافة ميكانيزمات تقابل حاجات الفرد، نجد راد كلين براون يركز على حاجات المجتمع، وأن غرض أي علاقة اجتماعية هو تحقيق التكامل وثبات البناء الاجتماعي. الذي يشكل أساس المجتمع، وعلى ذلك فإن المجتمع أو النسق الاجتماعي عند براون هو الكل الذي يتألف من علاقات (اجتماعية متناسقة، وأن البناء الاجتماعي هو الذي يلاحظ في كل الحياة اليومية .

4-الاتجاه البنائي (البنوي):

-يرى نادل (1903- 1956): البنية بمعناها الأضيق والأخص أقرب إلى الدلالة على نظام العلاقات، فيرى أنها تحليل "العلاقات المشتركة وترتيب الأجزاء داخل كل معين"

-أما ايقانز-بريتشارد: فيرى فيها "إننا نعني بالبنية المجتمعية علاقات قائمة بين مجموعات، علاقات تتمتع بدرجة معينة من الثبات والاستمرارية.

¹ - محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة (علم الإنسان)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- 1991. ص 120.

-يعتبر كلود ليني ستروس (المدرسة الفرنسية) مؤسس البنيوية في التفكير الأنتروبولوجي، لقد اهتم الأنتولوجيون والأنتروبولوجيون قبل ليني ستروس بجعل دراساتهم تركز على دراسة المجتمعات المغايرة (لمجتمعاتهم) وجعلوا منها الموضوع الأساسي لفرعهم المعرفي: كيف تشتغل هذه المجتمعات، ما هو التنظيم الذي تعتمده، ما هو أسلوب حمايتها، ما هي نفسانياتها؟ (وكان مالينوفسكي malinowski) هو النموذج الكامل لهذه الاهتمامات أما ليني ستروس فقد ذهب، بالعكس، إلى جعل هذه الدراسة التي أطلق عليها بحق (الأنتولوجيا/ الأنتروبولوجيا) واسطة لا غاية. إذ أن الغاية عنده هي معرفة الإنسان الكلي بجميع أبعاده، جغرافية كانت أم تاريخية.

وقد شدد ليفي ستروس على تنوع الثقافات وخصوصياتها الأمر الذي من شأنه أن يقضي إلى " معاينة مجرّئة أو مجزّأة"، وقد انطلق ليني ستروس من أن الاختلافات القائمة بين المجتمعات إنما هي اختلافات تكاملية، وذلك على الرغم من وجود هذه الاختلافات، وعلى الرغم من خصوصية الثقافات.

[إذن الأناسة (الأنتروبولوجيا) عنده هي علم الاختلافات المتكاملة الذي يبحث

عما هو جامع في الخصائص المشتركة بين كل المجتمعات]

-تقوم البنيوية عند ليني ستروس على أن ما وراء العقلي ما وراء منطلق التنظيم المجتمعي وممارسات المجتمعات ومعيوشها، ما وراء قواعدها التي تختلف باختلاف الأمكنة، هناك شيء مشترك نجده عند الإنسان مهما كان أصله أو كانت ثقافته، وأن هذا الشيء المشترك هو اللاوعي الجماعي للذهن البشري، وهو لا وعي يتغذى بالصور نفسها، والرموز نفسها، والحوافز نفسها، فالتفسير والحالة هذه أقرب إلى التفسير النفساني منه إلى التفسير الاجتماعي (السوسيولوجي)، إنه يكمن في النفسانيات الجماعية للجماعة. أما عن دور اللاوعي الجماعي عنده فقد اعتمد في تفسيره إلى 03 مرجعيات أساسية:

أ- مرجعية التحليل النفسي: حيث بين: أن حقيقة الشيء لا ينبغي أن يبحث عنها في ما هو ظاهر منه وبارز بل في ما هو مستضمر/ كامن/ فيه، في ما هو خلف الظواهر.

ب-مرجعية البيولوجيا: إننا في دراستنا لوضعية وحالة مجتمع ما لا نكتف بوصف المجتمع كما هو ظاهر بل يجب أن نبحث عن العوامل التي شكلت هذا المظهر الاجتماعي.

فدراسة منظر طبيعي متنوع لا يجدي معه الوصف وأن نكتف بوصف المنظر بكليته الظاهرة والبارزة ولكن علينا البحث عن الأرضية الجيولوجية التي يقوم عليها، من دراسة الطبقات وترتيبها ونوعية التربة والصخور.

ج-أما المرجع الثالث فيستند إلى ماركس الذي أخذ عنه فكرة هامة هي:

" هكذا يتبع وراء الأحداث (الواقع المرئي الظاهر) شيء لا يقع تماما ضمن حيز الرؤية شيء يفترض برجل العلم أن يبينه"، أي أن البنية المجتمعية لا تبنى على صعيد الأحداث بل انطلاقاً من عوامل أخرى غير مرئية كالاقتصاد والتاريخ... يمكننا أن نلخص أن المنهج البنائي يقوم على أسس هي:

-التعامل بالمثل، المماثلة دائماً وأبداً في سلوكياتنا وعقلياتنا.

-المنطق الإثنيني الذي نجده في أشكال التنظيم المختلفة (مثلاً: دنيوي/ ديني، مقدس/ مدنس...) ونراه أكثر في المصطلحات القرابية مثل (أب-ابن-أخ...) وفي التصنيفات الذهنية التي تعتمدها مجتمعاتنا: أرض/سما، طبيعة/ثقافة، فطري/مكتسب... إلخ.

-علاقات التضاد والتكامل ونعني بها تضادات طبيعية واجتماعية أي (أزواج من النقائض) (مثل الدراسة التي قام بها مورغان على قبائل أسترالية تنقسم كل منها إلى نصفين متضادين ومتكاملين في آن معاً مثل التضاد والتكامل الذي يظهر في التبادلات النسائية (زوجات متبادلة إلزامية)

-إن البنية تتصف بما يتصف به النظام، أي: أنها تتكون من عدد معين من العناصر بحيث أن كل تعديل يطرأ على عنصر منها يستتبع تعديلاً في جميع العناصر الأخرى.

البنوية الوظيفية:

وهي تسمية تطلق على المدرسة الأنثروبولوجية البريطانية هذه الأخيرة التي كانت متميزة في المنهج والتصور وكان راد كلين براون 1881-1955 أول من نظر للبنية وقرن بها مقولة الوظيفة.

وقد وصفت المدرسة البريطانية بالأنثروبولوجيا الاجتماعية (أو المجتمعية) لتعارضها مع الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية، لأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية اهتمت بدراسة التنظيمات المجتمعية والبنى الاجتماعية أكثر من دراستها للتصورات، والإيديولوجيات، والثقافة.

-المدرسة البريطانية التي تميزت بأكثر عدد من الأبحاث الميدانية خاصة في المرحلة (1920-1960) في إفريقيا والمحيط الهادي.

تعريف البنية حسب راد كليف براون: يقول:

«إن المعاينة المباشرة تبين لنا أن الكائنات البشرية تتوحد ضمن شبكة معقدة من العلاقات المجتمعية، وعبارة (البنية المجتمعية) إنما تدل على هذه الشبكة من العلاقات القائمة بالفعل»

مما يعني:

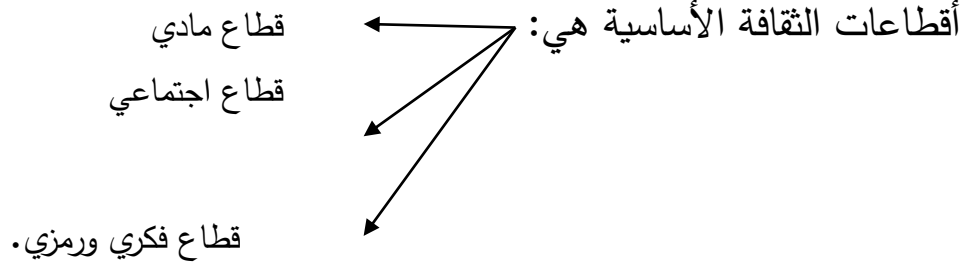
-أن البنية المجتمعية تتحدد بعلاقات مجتمعية، وقد تتصل هذه العلاقات بالأفراد، أو بالجماعات.

-إن هذه العلاقات محكومة بالتمايز المجتمعي، أي يتمايز الأفراد والطبقات من حيث الأدوار المجتمعية التي يقومون بها.

-إن هذه العلاقات متصف بضرب من الاستمرار من حيث المكان والزمان فهي ليست ظرفية طارئة ولا عابرة.

من رواد هذا الاتجاه تلاميذ براون الكثيرين: ماير فوتسي، ايفانز بريشارد، ريمون فيرث... الخ¹.

عناصر الثقافة²: (قطاعات الثقافة)



الوحدة الأساسية للثقافة هي: "العنصر الثقافي" وهو العنصر الذي لا يمكن تحليله إلى عناصر أبسط منه (مع وجود اختلاف بين العلماء في ذلك).
مثلا: الحلة الأوروبية: عنصر ثقافي، لكن هناك من يحللها إلى عناصر أخرى (البنطلون - الجاكت) اللباس العربي مثلا... الخ.
ويجب ملاحظة أن العنصر الثقافي وهو حقيقة واقعية يمكن ملاحظتها حسيا وقد يكون شيئا أو علاقة أو فكرة.

تشكل مجموعة من العناصر الثقافية مركب (المركب الثقافي Compac culturelle)

المركب الثقافي: هو كل يتكون من عناصر ثقافية ترتبط ببعضها ارتباطا وظيفيا، أي أن كل عنصر يتداخل مع باقي العناصر وان حذف عنصر ما يؤدي إلى اختلاف وتغير المركب الثقافي.

مثال: مركب "تعدد الزوجات" عند المسلمين: يتألف من عناصر متداخلة ومترابطة وظيفيا، منها: المبدأ الإسلامي الذي يسمح بالتعدد.

- شروط التعدد.

- عنصر العدد (نفسه) أي الحد الأقصى.

- عنصر المساواة (في المعاملات والحقوق).

¹ - جاك لومبار: مدخل إلى الأنثولوجيا، مرجع سابق، ص ص 241، 242.
² - عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، ص 86-90.

- عنصر العلاقات الاجتماعية بين الزوجات.

- عنصر الزوج بعائلات الزوجات- عنصر الصداق...الخ.

حذف المبدأ الإسلامي يغير كل هذا المركب (وقد يحل محله تعدد زوجات عند غير المسلمين...)

تتجمع المركبات الثقافية في صورة نظم وفق موضوعاتها.

مثلا: نظام الزواج في المجتمعات العربية يتكون من عدد كبير من المركبات الثقافية.

- من حيث عدد الزوجات: مركب تعدد الزوجات- مركب وحدانية الزوجة.

- من حيث نظام السكن: م. السكن مع: ←

أهل الزوج ←

أهل الزوجة ←

بعيدا عنهما...الخ.

مركب الزواج من بنت العم- بنت العمه.

- من حيث العلاقات القرابية ←

مركب الزواج من بنت الخال أو الخالة.

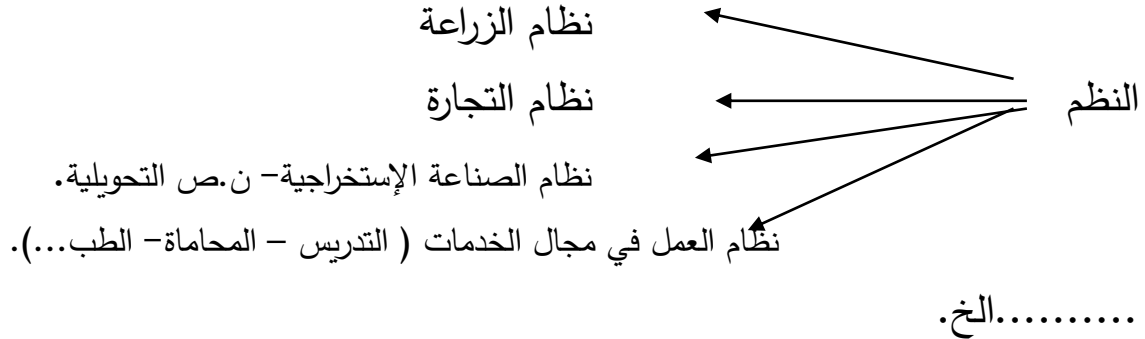
مركب الزواج من غير الأقارب....

.....الخ.

ثم تتجمع النظم الثقافية والاجتماعية المتشابهة في الموضوع أو الوظيفة أو فيهما

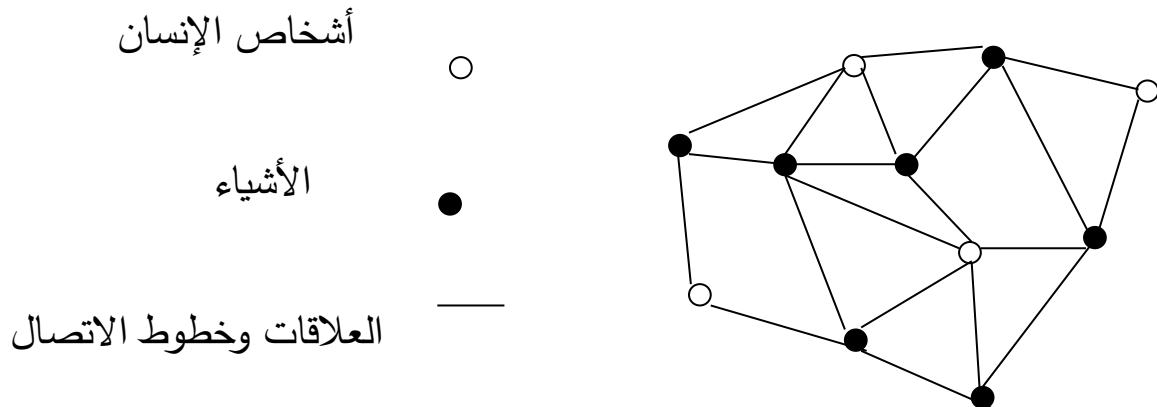
معاً في نسق واحد System

مثلا: النسق الاقتصادي: هو مجموعة كبيرة من النظم الثقافية والاجتماعية التي تتفق في تحقيق وظيفة توفير الغذاء والكساء للأفراد ومنها:



يمكن تجميع كل الأنساق الثقافية في ثلاث قطاعات أساسية (حسب نظرية هويت) في تحديد مواقع العناصر الثقافية وهي :

- 1-أشخاص الإنسان: ونقصد بها الأفكار، العقائد، الاتجاهات العقلية للناس....
- 2- الأشياء: كل شيء مادي محسوس (يكون في الغالب من صنعه أو يسعى إلى التدخل في طبيعته).
- 3- العلاقات وخط التفاعل والاتصال بين البشر بعضهم ببعض وبين البشر والأشياء.



الشكل من انجاز الاستاذ الباحث نفسه

ملاحظة: هذه التقسيمات ليست موجودة في الواقع ولكن لتسهيل الدراسة العلمية لهذه النظم والأنساق والمركبات.

مثلا : عبادة الأجداد المنتشرة في إفريقيا نجد نسيج متداخل من الأفكار والأشياء والعلاقات تقوم على مبدأ تماسك الجماعة القرابية الواحدة¹.

Folklore : الفولكلور

اقترح و. س. تومز (W.S.thoms) كلمة فولكلور عام 1846 لاستبدال عبارة " آثار الشعب" المكونة من المعتقدات والعادات والخرافات والتقاليد والطقوس والآداب الشفهية.

في النصف الثاني من القرن 19 حاولت المدرسة الانثروبولوجية الانجليزية جاهدة، متبوعة بالفولكلوريين الفرنسيين أن تضع أسس نظرية للفولكلور كعلم عام 1884 اقترح " أ. لانغ" مرتكزا على أعمال أ.ب. تايلور، التعريف التالي: «يصبح الفولكلور ويقارن بقايا الشعوب القديمة ، الخرافات والقصص التي تبقى ، الأفكار التي تعيش في زماننا دون أن تكون منه»، ويعني بالفلكلور «بقايا الحضارات الميتة الماثلة في حضارة حية» انه لا يأخذ بعين الاعتبار إلا الأمور القديمة.

(القرن 20) رغم وجود تيار يقص الفولكلور كعلم خاصة عند ظهور الإثنولوجيا الذي أصبح يهتم بدراسة الشعوب وثقافتها، لكن تبقى المواد الفولكلورية موجودة ويمكن لدراستها أن تفيد نظريات ومناهج معاصرة (ك: الألسنية، الانثروبولوجيا البنوية- التحليل النفسي...).

ما زال هناك إنتاج فولكلور عندما تتعايش حضارتين الأولى مهيمنة والأخرى مغلوبة².

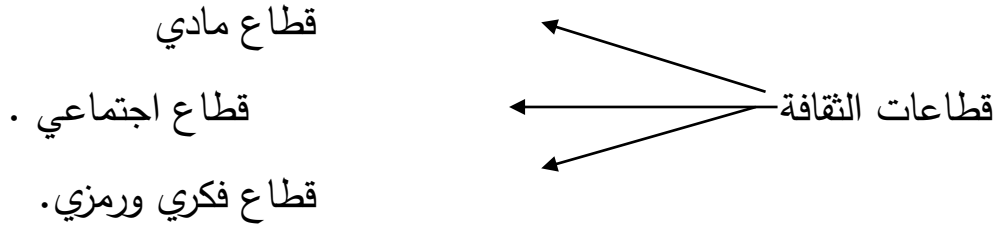
علم الفولكلور: علم تاريخي لأنه يحاول إلقاء الضوء على ماضي الإنسان وهو علم لأنه يجهد في الوصول إلى هدفه من خلال المنهج الاستقرائي الذي يستخدمه كافة العاملين في مجال البحث العلمي، وليس من خلال التخمين أو الاستنباط.

¹ - عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافة ، ص 78-79.
² - بيار بونت، ميشال ايزار، معجم الإثنولوجيا و الانثروبولوجيا، ترجمة : مصباح الصمد، ص 708، 709.

- الفولكلور هو إعادة بناء التاريخ الروحي للإنسان. (د. قاسم عبده قاسم: بين التاريخ والفلكلور، ص45).

الاختلاف في مضمون الثقافات ونظمها:

- تشابه في الإطار العام والخارجي أو الشكلي لتلك النظم.



يطلق على تلك النظم المتشابهة في كل الثقافات ب: الأنماط العالمية للثقافة.

ويصنفها " ويسلر " ¹ Wisler :

1- اللغة.

2- العناصر والمركبات المادية.

- عادات الطعام، المأوى، وسائل النقل والسفر، الملابس، الأدوات والآلات، الأسلحة، المهن والصناعات.

3- الفن: النحت، الرسم، الموسيقى... الخ.

4- الأساطير والمعارف العلمية.

5- التصرفات الدينية : - الأشكال الطقوسية.

- طقوس المرض، طقوس الموت.

6- الأسرة والنظم الاجتماعية: الأشكال الزوجية، نظم التسلسل

القرابي، الميراث، الضبط الاجتماعي، الألعاب.

7- الملكية: - الملكية العقارية، وملكية الأشياء المنقولة.

¹ - عاطف وصفي، مرجع سابق ، ص93.

- مستويات قيمة الأشياء والتبادل.

- التجارة.

8- الحكومة: - الأشكال الأساسية.

- الإجراءات القانونية والقضائية.

9- الحرب.

يرجع تباين مضمون الثقافات إلى العوامل التالية : (عظفي وصفني، ص89-92).

1- العقل البشري: قدرة العقل على اختراع أفكار مختلفة ومتنوعة في حل المشكلة الواحدة.

2- الطاقة: الاعتماد على طاقة الجسم، ثم الحيوانات ثم الفحم، ثم البترول، ثم الكهرباء...الخ.

3- البيئة الجغرافية وتنوعها: تساهم في تنوع قطاعات الثقافة المادية (توفر البيئة للإنسان احتمالات يختار بينها). مثلا: الزراعة في الصحراء، أو حول الأنهار، توفر الفحم في بريطانيا قبل الثورة الصناعية.

4- حجم الجماعة الإنسانية: المعشر (من العشيرة) - القرية - ثم القرية بعد اكتشاف الزراعة، ثم المدن...الخ. التفاعل الثقافي في القرية أقل بكثير من التفاعل في المدن.

5- مدى الاتصال والتعاون بين الجماعات الإنسانية: أن العزلة التي تختارها بعض الجماعات أو تفرض عليها يقلل من التفاعل مع الآخرين، وبالتالي يقلل من الإنتاج الثقافي.

6- القيم التي يؤمن بها المجتمع الإنساني: تساهم بدور كبير في تنوع الثقافات، وأهمها القيم الدينية (بين الدين السماوية- والوثنية...) مثلا: الإسلام يحث على العلم- العمل... الخ، دورة المرأة... الخ. هذه بعض الأسباب فقط وهي لا تعمل منفردة.

- الحتمية الاقتصادية:

يرى بعض علماء الاقتصاد أن الاقتصاد هو العامل الوحيد الذي يفسر الحياة الاجتماعية، وقد ظهر وانتشر هذا الاتجاه بوضوح بعد الثورة الصناعية الكبرى في أوروبا، وترى أن التحولات الاقتصادية التي يعرفها شعب ما هي التي تؤدي إلى تغير في طبيعة المجتمع وطريقة تنظيم السلوك الإنساني. (1)

- الاتجاه السيكولوجي:

ركز الكثير من الأنثربولوجيين على مدخل التحليل النفسي (علم النفس) لدراسة طبيعة الإنسان وشعور الأفراد والدوافع، ومحاولة دراسة سيكولوجية الشعوب البسيطة ودراسة الخصائص العقلية للمواطنين، ومن الموضوعات التي تم فحصها دقة الإحساس لاختلافات الضوء اختبار عمى الألوان، مدى السمع، القدرة على الشم والتذوق، الوزن فترة رد الفعل، قوة العضلات، الرسم والكتابة وتغيرات ضغط الدم تحت الظروف المختلفة. (2)

- اتجاه التطورية الجديدة:

يمثل الاتجاه التطوري، كما أوضحنا، أحد أقدم المحاولات وأكثرها انتشارا لتفسير تطور الثقافة. ونعنى بالاتجاه التطوري تلك الفلسفة الاجتماعية التي تمتد جذورها إلى منظري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من أمثال فيكو، وسبنسر، والتي

1-- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع السابق، ص 25

2- المرجع نفسه، ص 26

وجدت تطبيقاً لها في الأنثروبولوجيا على يديّ مورغان وتايلور. ولا شك أن مناهج الاتجاه التطوري ونظريته الأنثروبولوجية لم تظل جامدة منغلقة منذ بزوغها إذ تعرضت لتعديلات عديدة. وعلى الرغم من أن القليل من علماء الأنثروبولوجيا من يصنف نفسه تطورياً فإنه يلاحظ أن أفكار هذا الاتجاه تمثل عناصر ذات ثقل معلوم في كل المحاولات اللاحقة والحالية لتفسير تطور الثقافة.

بدأت عملية إحياء النظرية التطورية الأنثروبولوجية مجدداً في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين المنصرم على يديّ ليسلى هويت (1900-1975). وبرزت التعبيرات الأكثر تجلياً واتساعاً للتطور الجديدة في أعمال تلامذته بخاصة سيرفيس وسالينس. تأثر هويت كثيراً بكتابات مورغان داعياً إلى عدم استخدام النظم الأوروبية أساساً لقياس التطور، وضرورة محكات أخرى يمكن قياسها وتقليل الأحكام التقديرية بشأنها. أكد هويت في كتابه "علم الثقافة" الذي نشره عام 1949 أنه من المهم ألا تقتصر النظرية التطورية على تعيين مراحل معينة لتسلسل نمو الثقافة وإنما لا بدّ من إبراز العوامل التي تحدد هذا النمو وفي رأيه أن عامل "الطاقة" هو الذي يمثل المحك الرئيس لتقدم الشعوب. ويمكن تحديد أبرز العناصر الرئيسة للاتجاه التطوري الثقافي الجديد التي عبر عنها ليسلى هويت في النقاط التالية:

1. الالتزام بمبدأ الحتمية المادية.

2. الثقة في إمكانية صياغة قوانين ثقافية.

3. استخدام بعض مفاهيم نظرية التطور الداروينية.

يعتمد دعاة التطورية الجديدة في تحليل تطور الثقافة على أشكال مختلفة من "التناظر الوظيفي العضوي". إنهم ينظرون إلى المجتمعات الإنسانية، مثلها مثل كافة الكائنات البيولوجية ، بحسبانها منتجة للتنوع، لكنه التنوع الثقافي الذي يظل فاعلاً على مدى الأجيال وفق الكفاءة الديناميكية الحرارية التفاضلية للمجموعات الثقافية المتنافسة بعضها مع البعض الآخر. هنا يتضح بجلاء استخدام التطور وفقاً للمفاهيم الداروينية. كان داروين قد شرح في كتابه "أصل الأنواع" الصادر في عام 1859 مفهومه للتطور، وهو مفهوم يمكن اختزاله في الخمس النقاط التالية:

1. إن كل الأنواع قادرة على إنتاج نسل بصورة أسرع مما هو عليه الحال

بالنسبة للزيادات في إنتاج الموارد.

2. تظهر كل الكائنات الحية تنوعات، فليس من فردين للنوع الواحد

متشابهين تماماً.

3. بما أن عدد الأفراد الموجودين أكثر مما يفترض بقاءه فإن صراعاً مريعاً

ينشأ تكون الغلبة فيه لأولئك الأفراد الذين يؤلفون نوعاً إيجابياً كماً، وقوة،

ومقدرة على الجري أو أية خصائص أخرى ضرورية للبقاء.

4. تنتقل تلك التنوعات الإيجابية بالوراثة إلى الجيل اللاحق (وهذه فرضية

خاطئة تقبلها داروين عن لامارك).

5. تنتج تلك الأنواع الناجحة، على مدى فترات من الزمن الجيولوجي،

اختلافات تؤدي إلى ظهور أنواع جديدة.

كذلك يؤكد بعض التطوريين الجدد على جدوى تطبيق مفهوم "الارتقاء" على التاريخ الثقافي حيث يرى سيرفيس وسالينس أن "التطور يرادف الارتقاء: الأشكال الأعلى تنمو من الأشكال الأدنى وتقضى عليها". كذلك نجد أنهما يقولان بإمكانية قياس الارتقاء موضوعياً عبر "المصطلحات الوظيفية والبنوية التي تمّ تمثيلها في التنظيم الأعلى". وقد لخصا هذه العلاقة في ما أطلقا عليه تسمية "قانون السيادة الثقافية" الذي ينص على أن "النظام الثقافي الذي يستغل مصادر الطاقة المتوفرة في محيطه بكفاءة أعلى سيظهر قدرته على الانتشار في ذلك المحيط على حساب الأنظمة الأقل كفاءة ... وأن النظام الثقافي يُظهر ميلاً للنشوء تحديداً في تلك البيئات التي تمكنه من تحقيق عائد طاقة أعلى لوحدة العمل أكثر من أية أنظمة بديلة أخرى". وكان ليسلى هوايت قد افترض بأن الثقافات تتطور عندما تزداد كمية الطاقة التي تستخدمها، أي وبمعنى آخر فإن المضمون التقني في ثقافة ما يحدد الكيان الاجتماعي، واتجاهاته الأيديولوجية، فمثلاً نجد أنه في المجتمعات التي يستخدم أفرادها قدرًا محددًا من الطاقة تنشأ عندهم نظم دينية وسياسية واقتصادية أقل تعقيداً من تلك التي تتكون في مجتمعات تكثر فيها وتتنوع استخدامات الطاقة والإمكانيات التقنية.

وجه نقد للاتجاه التطوري الجديد لإهماله المنجزات التي حققتها نظرية التطور البيولوجية الحديثة. وقد رأى البعض أن الاتجاه التطوري الجديد هو اتجاه لاماركي في جوهره وذلك من حيث أن التطوريين الجدد لا يعيرون سوى قليل اهتمام إلى الأصول الأولى للتنوع الثقافي، بل يقترحون أن التنوع هو في الأساس، تواتر احتياجات مدركة بالحواس، بوعي أو بدون وعي، وهو ما يعنى النظر إلى اتجاه التغير الثقافي كوظيفة للتنوع الأولى أكثر منه نتاجاً للاصطفاء الطبيعي. يكون الناس من منطلق مثل هذا الفهم في حالة سعى للتكيف أكثر من كونهم كائنات متكيفة. وقد أشار دنل وفينيك إلى أن "البيئة في التطور العلمي تكون فاعلة من خلال الاصطفاء الطبيعي أو من خلال التنوع غير محدد الاتجاه لإنتاج التوجه الظاهر للتغير في مستويات أعلى. لكنه ووفق الاتجاه التطوري الجديد فإن البيئة تتحكم مباشرة في خلق التنوع."

هكذا يركز الاتجاه التطوري الجديد اهتمامه على صياغة تبيولوجيات أكثر من تركيزه على اختبار التنوع الإمبريقي، وكذلك فإنه يهمل مفهوم الاصطفاء الطبيعي بافتراضه مساراً محدد الاتجاه للسجل التطوري. لكل ذلك أظهر الاتجاه التطوري الجديد عجزاً في إنتاج قوانين أو قواعد للتعاقب يمكن عن طريقها تفسير تطور الثقافة. لكنه رغم الإخفاقات فإن عناصر الاتجاه التطوري الجديد وجدت انعكاساً لها في المعالجات المطروحة لتطور الثقافة ونشوتها، خاصة المعالجة الايكولوجية الثقافية ونظيرتها

المادية الثقافية تحديداً في استخدام المعالجتين لمفهوم "التكيف" بديلاً لمفهوم "الاصطفاء الطبيعي".

الاتجاه الايكولوجي :

لم تكن محاولات تفسير الوقائع الاجتماعية بالعوامل الجغرافية و البيئية و ليدة العقود الأخيرة ، إنما نجدها قديمة جداً إذا ما عدنا إلى تاريخ الفلسفة الاجتماعية و ما قبلها ، و قد اشتهر في هذا الباب كل من ابن خلدون و فيكو و مونتسيكو...، و لكن مع تطور العلوم و المجالات المعرفة اشتهرت المقاربات الحديثة التي ساقها جوليان ستوارت خلال الاربعينات و الخمسينيات من القرن الماضي ، و ذلك من خلال العديد من الدراسات في علم الاثار و الانثروبولوجيا ، و التي صنعت في ما سمي " الايكولوجيا الثقافية " التي تهتم بموضوع تكيف الانسان البيئة المادية .

يهتم هذا المدخل بدراسة الانسان ضمن النسق الايكولوجي الذي يعيش فيه و يتكيف معه ، و أثر البيئة على المجتمعات الصغيرة و البسيطة ، و يهتم المنظور الايكولوجي بدراسة مشكلتين :

- المشكلة الأولى و هي محاولة توضيح لماذا تتواجد عناصر من العناصر الثقافية في فترات زمنية معينة و في أماكن محددة ؟
- المشكلة الثانية :كيف تقوم هذه العناصر الخاصة بدورها داخل بيئة ثقافية و طبيعية معينة .¹

مع الدراسة المقارنة الكثيفة تم تجاوز منطق الحتمية البيئية ، فظهر توجه آخر يسمى الاحتمالية البيئية ، و تقوم هذه النظرية على اساس ان العوامل البيئية قد تحد من امكانيات التكيف في ثقافة ما ، و لكنها لا تحدد أنماط التكيف أو الاختبارات التي يقوم بها المجتمع²

- محمد حسن غامدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 45 .¹
- المرجع نفسه ، ص 46 .²

و قد كشفت بعض الدراسات الانثروبولوجيا التي أجريت على الثقافات المختلفة ان الظاهرة الثقافية الواحدة تختلف رغم انها تنشأ تحت ظروف بيئية واحدة ، و يشير " ألفريد كروبر kroeber الى ذلك أن هنود البيبلو و التقاموا عاشوا في الجنوب الغربي الأمريكي ، و كل منهما عاش في فترة ن زمنية تختلف عن الأخرى في نفس المنطقة ، حيث مارس البيبلو الزراعة ، ثم جاءت بعدهم قبائل التاموا و اعتمدت في طريقة حياتها و معيشتها على الرعي و الصيد ، و لم يمارسوا الزراعة مثلما فعلت قبائل البيبلو ، كما يرى كروبر أن الظاهرة الثقافية تحدث فقط بفعل ظاهرة ثقافية أخرى كالانتشار¹.

يعتبر الانثروبولوجي جوليان ستوارد JULIAN STEWARD أول من اهتم بالايكولوجيا الثقافية ن و قد ظهر المفهوم في مقالته عام 1955 بعنوان " مفهوم الايكولوجيا الثقافية و منهجها " و قد محاولة متكاملة لفهم التفاعل بين البيئة و الثقافة في ضوء علاقة سببية مبتعدا بذلك عن مبدأ الحتمية البيئية².
منهج الدراسة الايكولوجية :

وجد سيوارد من خلال البحث الميداني اختلاف في التنظيم الاجتماعي و السياسي بين الجماعات التي تقطن أقاليم جغرافية متباينة ن و هو يرى ان دراسة الايكولوجيا الثقافية تتطلب خطوات رئيسية³:

أولا : تحليل علاقة التفاعل بين البيئة و التكنولوجيا التي تستخدمها المجموعة البشرية ، لأنه يلاحظ أن أي مجتمع لا يستطيع أن يستغل كل المعالم البيئية المتاحة عنده . و يرى ستوارد أن الثقافة المعقدة تكون أكثر تكيفا مع الظروف البيئية الصعبة ن و ذلك تملك التكنولوجيا و الأجهزة الحديثة .

و لكن الواقع الحالي يبين أن هذا الطرح لا يصدق ، فالكوارث الطبيعية تضرب في كل مكان من العالم و الأكثر تقدما مثل امريكا و اليابان ، و لا يستطيع تجنبها .

- محمد حسن غامدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 46¹
- المرجع نفسه ، 46²
- المرجع نفسه ، 48³

ثانيا : تحليل أنماط السلوك التي تتضمنها عملية استغلال مكان معين بواسطة تكنولوجيا معينة ، فما تتطلب مثل هذه التكنولوجيا المستخدمة التعاون ؟ و هل يؤدي التعاون الى الانتفاع بأقصى حد للمصادر .

ثالثا : التحقق من مدى تأثير أنماط السلوك المتضمنة في عملية استغلال البيئة على مظاهر الأخرى للثقافة ن و من أهم الجوانب السلوكية التي تؤثر في عملية استغلال البيئة تنظيم الجماعات القرابية و التنظيم السياسي .

- تقييم المنهج الايكولوجي :

يعرف المدخل المعرفي الثقافات كأنساق للمعرفة ، أي الأشياء التي يعرفها الناس أو يعتقدون فيها ، لكي يتصرفوا بالطرق التي تتقبلها جماعاتهم و لا يوجد في مكان في العالم أن يكون ادراك الناس فاقدا للنظام و المعنى¹.

- و يستخدم أصحاب الاتجاه المعرفي هذا التوجه لكشف أنماط تفكير جماعة ماء كوسيلة لفهم أنشطة أفرادها ، مثل أنساق التصنيف التي يستخدمها أعضاء أي مجتمع ، مثل تحديد الجهات في جزيرة نيكوبيا ، حيث لا يعتقدون الجهات الجغرافية كما هو معرف ، إنما يحددون موقع شيء ما ، بإرجاعه إلى نقطتين ، هما داخل الجزيرة وواجهة الجزيرة .

- و تعتبر اللغة كوسيلة الاتصال الرئيسية الأداة الفعالة في كشف طرق تفكير أفراد ثقافة ماء ، فاللغة تكشف المعالم الإدراكية الهامة لمعظم جوانب الثقافة².

- الاتجاه المعرفي:

وجه أصحاب هذا الاتجاه انتقادات كثيرة لأصحاب الاتجاه البنائي الوظيفي بسبب اعتمادهم على سلوكيات الأفراد الظاهرة وما يقوم بينهم من علاقات على أرض الواقع، وإغفالهم الجانب الحركي (الديناميكي) في دراسة الثقافة الإنسانية، أدت هذه إلى تبني نظرية جديدة في الدراسة تتناسب مع التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي

- محمد حسن غامدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 40¹
- (محمد حسن ، غامدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 41²).

أعقبت الحر بالعالمية الثانية ومن هنا برزت فكرة النظرية المعرفية في دراسة الثقافة الإنسانية، والتي تبحث في طرائق تفكير الناس وأساليب إدراكهم للأشياء والمبادئ التي تكمن وراء هذا التفكير والإدراك ومن ثمة الوسائل التي يصلون بواسطتها إلى كل منهما.

وقد أعطى هذا الاتجاه المعرفي مفهوماً جديداً للثقافة وطبيعتها الفكرية الثقافية باعتبارها تشكل " خريطة معرفية إدراكية " (حسب جيمس داونز في كتابه الطبيعة الإنسانية) فالخريطة الإدراكية لأي شعب من الشعوب تحتفظ بملامح عامة ومقومات أساسية وثابتة ولكنها مع ذلك لا تخلوا من بعض الاختلافات والتفاصيل الدقيقة من جيل إلى آخر، لا بل من فئة اجتماعية إلى أخرى، وفي المرحلة الزمنية الواحدة، وهذا يعني أن لكل مجتمع تصورات الخاصة عن العالم والكون، تختلف عن تصور غيره من المجتمعات الأخرى. (1)

- خطوات البحث الأنثروبولوجي وأدواته:

1- العمليات التحضيرية للبحث:

أ- تحديد موضوع الدراسة: أو ما يسمى بمشكلة البحث وعند اختيار موضوع البحث يجب أن يراعي الباحث تحديد موضوع الدراسة بلغة واضحة تماماً، ذلك أن اللغة التي يصاغ بها موضوع البحث كفيلة بإبراز النقاط الهامة التي يجب أن يتناولها الباحث بجانب أنها تمكن الباحث من استنباط نقاط اهتمام مختلفة متتالية وبالطبع فإن على الباحث أن يبين أهمية مشكلة بحثه العلمية، ويبرز الجدوى من دراسة هذه المشكلة، كما أن على الباحث أن يدعم رأيه ببعض الأدلة والشواهد، كأن يوضح ما يمكن أن يقدمه بحثه من حلول للمشكلة، أو ما يقدمه من إضافات علمية، وبعد اختيار موضوع البحث يجب أن يعتمد الباحث إلى اختيار مجتمع البحث وهناك من الباحثين من يفضل اختيار مجتمع البحث أولاً وانطلاقاً منه يمكن أن نحدد موضوع البحث.

ب- قراءة ما كتب عن موضوع البحث ومجتمع الدراسة والهدف من هذه القراءات التي كتبت حول مجتمع الدراسة تؤدي إلى تطوير فروض بحثه وتحديد نقاط الاهتمام في دراسته.

ج- تحديد المداخل الأساسية التي سوف يستخدمها في دراسته لتحليل الظواهر المدروسة، والنظرية التي تشكل إطاره المرجعي في عملية التفسير (سبق التطرق إليها بالتفصيل). (1)

2- الدراسة الميدانية وأدوات البحث الأنثروبولوجي:

لقد وصفت أقوال الرحالة والمستكشفين الأوائل وجنود الاستعمار الإنسان البدائي بالمتوحش أو الحيوان الفظ، ثم جاءت بعض التقارير على العكس من ذلك تماماً تصفه بالإنسان الرقيق المهذب الذي يعيش على الطبيعة في رخاء وسلام، ومن هنا يظهر التناقض الكبير في الوصف، ويعود هذا إلى أن هؤلاء الأوائل من المستكشفين وحتى الباحثين لم يكونوا مزودين بالقوانين والأدوات العلمية الضرورية والحقيقية لدراسة ثقافات ومجتمعات هذه الشعوب البدائية. (2)

ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأت تظهر إمكانية تطبيق المنهج العلمي في الأبحاث الأنثروبولوجية عن طريق الدراسات الميدانية وتتمثل في ملاحظة الواقع الاجتماعي مباشرة أي أن يقوم العالم نفسه بجمع المعلومات بطرق بحث معينة ثم يقوم بتحليلها وبالتالي يستطيع أن يتأكد من استخدام المنهج العلمي في جمع المعلومات ويعتمد الأنثروبولوجيون في تطبيق المنهج العلمي أثناء دراساتهم الميدانية على طرق بحث معينة أهمها ما يلي:

أ- الملاحظة بالمشاركة: وتتلخص في أن يشارك الباحث في الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع قيد البحث ومن خلال تلك المشاركة يدرس ثقافتهم ويقابل الباحث في بداية دراسته الميدانية مشكلة كبيرة وهي (الدور) الذي يجب أن يؤديه لكي يحصل على معلومات موضوعية، وترجع أهمية تلك المشكلة إلى الحقيقة

1- عبد الله عبد الغني غانم: طرق البحث الأنثروبولوجي، الطبعة الأولى المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004، ص 97 - 101.

2- إ. يقنز بريتشارد: الأناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظرية الأناسيين، ترجمة حسن قببسي، الطبعة الأولى، دار الحدادة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - 1986، ص 85.

القائلة بأن تواجد الباحث في مجتمع أو قبيلة ما تدفع الأفراد موضوع الملاحظة إلى تغيير سلوكهم العادي أو إلى الإدلاء بأقوال لا تعبر عن الواقع وذلك لشعورهم بأنهم خاضعون لملاحظة الغير ولذلك على الباحث أن يقوم بدور ما في المجتمع بحيث يترتب عليه أن يقبله أفراد المجتمع وكأنه واحد منهم وبالتالي يكتسب ثقتهم ويبدد الشكوك حول مهمته وإبعاد شعور العداء الذي يواجهه الغريب عندما يدخل مجتمعا ما لأول مرة، وهكذا يذهب الأنثروبولوجي إلى المجتمع الذي يدرسه ليعيش فيه فترة من الزمن (لا تقل عن ستة أو ثمانية أشهر) لاكتساب ثقة الأفراد وجمع المعلومات اللازمة، ولا بد للباحث أن لا يكتفي بالملاحظة عن بعد ولكن يجب أن يتعلم أسلوب حياتهم والمفاهيم السائدة ويشعر بالقيم التي يعتقونها ويعمل معهم ويشاركهم الطعام واحتفالاتهم وارتداء ملابسهم وفي بعض الأحيان يدخل كعضو في جمعياتهم إذا سمحت النظم الاجتماعية بذلك، وعليه طوال الفترة أن يكتب تقارير يومية عن كل صغيرة وكبيرة تقابله، وعندما تتضح له فكرة عامة عن أسلوب المعيشة في المجتمع يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر الثقافة والترتيب البنائي للمجتمع حتى تصبح دراسته مفهومة وواضحة. (1)

يحدد العالم إيفانز بريشارد (في كتابه الأنثروبولوجية الاجتماعية) شروط نجاح الملاحظة بالمشاركة فيما يلي:

1- أن تسبقها مرحلة تخصص ودراسة نظرية كافية في الأنثروبولوجيا عامة والعلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع، ويفهم من ذلك ضرورة الحصول على الدرجة الجامعية الأولى على الأقل في أحد فروع العلوم الاجتماعية قبل القيام بالدراسة الميدانية وتطبيق الملاحظة بالاشتراك.

2- على الباحث أن يقضي فترة كافية في الاشتراك مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم، ويجب ألا تقل تلك الفترة عن عام، ويرى بعض العلماء أن ستة أشهر قد تكون كافية، ولاشك أن تحديد الفترة الكافية يرتبط بعوامل متعددة مثل حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها دراسة مركزة.

¹ -Jean Lopans: L'enquête ethnologique de terrain/11, édition: claire hemmout.1998 P P 34 – 38.

3- أن يكون الباحث طوال فترة الملاحظة على صلة وثيقة بالأهالي ويتم ذلك عن طريق اشتراكه في معظم جوانب حياتهم الاجتماعية.

4- على الباحث أن يستخدم في حديثه مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة لغتهم الوطنية، ولا يستخدم المترجم، إذا كثيرا ما يفشل المترجم في نقل الأفكار والمعاني بدقة كاملة.

5- وعليه أيضا أن يدرس كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية وإن كان قد يدرس موضوع معين بالتفصيل، وفي الغالب لا ينشر الباحث سوى جزء يسير من دراسته، ولكن الدراسة الكلية للمجتمع ضرورية حتى يستطيع فهم الجانب التفصيلي وتحديد وظائفه.

6- لا بد من توفر نوع معين من الشخصية والمزاج، فبعض الناس لا يستطيعون تحمل مشاق العزلة عن وطنهم الأصلي فغالبا تكون الحياة في المجتمع موضوع الدراسة قاسية، وخاصة أن الظروف غير الصحية تنتشر في المجتمعات البدائية، هذا بالإضافة إلى تعرض الباحث لتغيير عادات الطعام والمسكن والملبس والمشرب، ولذلك لا يستطيع الكثيرون تكيف أنفسهم عقليا ونفسيا وجسما مع تلك الظروف الجديدة.

7- على الباحث أن يتخلى عن قيمه وثقافته بقدر المستطاع حتى يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية، ولاشك أن الأفراد الذين يتقنون الملاحظة يستطيعون الوصف الدقيق للمجتمع، ولكن عندما ينتقلون إلى مرحلة الفهم والإدراك العميق فإنهم يحتاجون إلى الكثير من الحدس. ويجب عدم إغفال أهمية مزاج الباحث وطباعه، فقد يحدث أن يخفق أحد البحوث في دراسة مجتمع معين ولكنه يجنح في مجتمع آخر.

8- يحتاج الباحث لمهارة أدبية في نقل وصف وتحليل الثقافة المدروسة إلى لغة الباحث نفسه، إذ عليه أن يبين ويشرح معنى الظواهر الاجتماعية والثقافية التي لاحظها وأن يبرز هذا المعنى بوضوح في صور تجاربه الأخرى، ويقتضي ذلك المجهود مهارة في إدراك وتمييز الصيغ والنماذج اللغوية، ولا يفهم من ذلك أن على الأنثروبولوجي أن

يكون أدبيا حتى ينجح في عمله وإنما يكون قادرا على التعبير والكتابة بلغة واضحة سليمة. (1)

وفيما يتعلق بتدوين التقارير اليومية فمن الضروري تدوين كل المعلومات (حول الحادثة أو الظاهرة) في أقرب فرصة متاحة بعد الملاحظة مباشرة ويجب أن يكون التسجيل يوميا على الأقل وأن يشمل تقرير مطول عن حوادث اليوم كما عليه أن يتحاشى التسجيل خلال الحوادث إلا للضرورة، لأن ذلك قد يسبب له انقطاعا في التركيز في متابعة الظاهرة ورصدها، وقد يسبب تحول سلوكات الأشخاص محل الملاحظة أو تدميرهم.

يشدد مالينوفسكي (في كتابه مغامرو المحيط الهادي الغربي ص 64-65) على أهمية الملاحظة بالمشاركة، وضرورة معاينة الوقائع الظاهرة ثم الظواهر المعقدة الأخرى ويبرز أهمية تقنية المشاركة بقوله: « أثناء زهتي الصباحية في القرية، كان بوسعي أن أعين التفاصيل الحميمة للحياة العائلية، والاعتناء بالهنّام وإعداد الطعام، وتناول الوجبات:

كان بوسعي أن أرى تهيوّ القوم للقيام بأعمالهم اليومية، أن أرى أشخاصا يذهبون لجلب حاجاتهم، أو جماعات من الرجال والنساء منهمكين في إعداد شيء من الأشياء. كانت المشاجرات والممازحات، والمناكفات العائلية، والأحداث العابرة التي لا أهمية لها والتي تتخذ طابعا دراماتيكيّا في بعض الأحيان لكنها تظل دائما ذات دلالة ومغزى، تشكل مناخ حياتي كل يوم كما تشكل مناخ حياتهم. ولأن الأهالي كانوا يرونني طيلة الوقت بينهم، فإن وجودي لم يعد يربكهم ولا يثير لديهم قلقا أو انزعاجا. منذ ذلك الحين، لم أعد أشكل عنصرا مشوشا للحياة القبلية التي كنت أدرسها، ولم يعد مجرد اقترابي من أي شيء كفيلا بإفساده على نحو ما يحصل عندما يوجد قادم جديد بين طائفة من البدائيين. والواقع أنهم لما تيقنوا من أنني سأظل أتدخل على الدوام في كل الشؤون والأمور، بما فيها تلك التي لا تخطر ببال أي من أبنائهم المهذبين أن يتدخل فيها فقد

1- د. عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص ص 287-288.

انتهى بهم الأمر إلى اعتباري جزءا من أجزاء وجودهم وعنصرا من عناصره، أو شرا لابد منه، أو هما لا سبيل إلى تلافيه تخف وطأته عند توزيعي بعض التبغ عليهم. بعد ذلك، وخلال فترة النهار، لم يكن يغرب عن انتباهي أي شيء مما كان يجري حولي. أما حالات الاستنفار التي كانت تحصل عند المساء مع قدوم الساحر، أو تلك المشاجرة أو المشاجرتان الصاخبتان، أو تلك الخلافات الجدية التي كانت تدور ضمن الطائفة، فضلا عن حالات المرض، ومحاولات علاجها، والوفيات، والطقوس السحرية [...] التي من المفترض أداء شعائرها، فإن مشاهدتها لم تكن تستوجب مني أي جري وراءها أو أية خشية من تفويتها، إذ كانت تحدث أمامي، وتحت بصري، وعلى مقربة من عتبة بابي إذ جاز القول. وينبغي أن أشدد هنا على أن من الأهمية بمكان أن يشرع الباحث بالتحقيق على الفور ما إن يحصل شيء دراماتيكي أو رئيسي. إذ أن الأهالي لا يسعهم أن يمتنعوا عن التعليق على ما يجري، فيكونون عندئذ على درجة من التوتر تحول دون تعبيرهم عنه بالكلام المتروكي، أو يكونون على درجة من الاهتمام به تحول دون امتناعهم عن إضافة شتى التفاصيل إليه. لذا كنت في أحيان كثيرة أضطر إلى الإخلال بأصول اللياقة، الأمر الذي كان يحمل الأهالي، وقد رفعت الكلفة بيننا، إلى تنبيهي إليه. فكان علي أن أتعلم أصول التصرف، كما كان لي أن أدرك، إلى حد ما " مغزى " العادات الحسنة والسيئة التي يتمتع بها أهالي تلك البلاد. بناء عليه، ولأنني كنت قد توصلت أيضا إلى الارتياح إلى صحبتهم وإلى مشاطرتهم بعض ألعابهم وتسلياتهم، فإنني أخذت أشعر بأنني قريب منهم بالفعل وهذا أمر لاشك في أنه يشكل شرطا مسبقا من شروط أي نجاح في العمل البحثي ». (1)

ب- طريقة المقابلة في البحث الحقلية :

تستخدم المقابلة interview في كثير من مجالات الحياة ، فالباحث الاجتماعي يستخدم المقابلة كأداة لجمع البيانات ، و رجل الأعمال و الطبيب و رجل الدين و القاضي و رجل البوليس و الصحفي و المدرس و المحامي و الأخصائي النفسي و

¹ - جاك لومبار : مدخل إلى الأنثروبولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، الطبعة الأولى، 1997، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص ص 180 - 181.

الاجتماعي .. كل هؤلاء يستخدمون المقابلة لاستخدامها في التوجيه أو التشخيص أو العلاج

و هي تعد من أكثر وسائل الحصول على المعلومات شيوعا و ان كانت تتفاوت في أهميتها و نوعيتها بحسب المنهج . فالمقابلة الشخصية تعتبر هي الوسيلة الأنثروبولوجية ، في حين أن دورها يختفي نسبيا في المنهج التجريبي و المنهج التاريخي و يكاد لا يكون لها وجود في المنهج الإحصائي الذي يعتمد على معطيات رقمية جمعت بوسائل متعددة قد تكون المقابلة الشخصية إحدى وسائلها.

تسهم المقابلة في المراحل الأولى من البحث في الكشف عن الأبعاد الهامة للمشكلة ، و في تنمية الفروض ، و في إلقاء الضوء على الاطر المرجعية لاستجابات أفراد التجربة ، و تمتاز المقابلة عن غيرها من أدوات البحث الاجتماعي بأنها أكثر مرونة ، بأنها تيسر لدرجة أكبر ملاحظة المبحوث و التعمق في فهم الموقف الكلي الذي يستجيب فيه للمقابلة ، كما يمكن القائم بالمقابلة أن تشرح للمبحوث ما قد يكون غامضا من السؤال و أن يكشف عن التناقص في الإجابات و أن يرجع إلى المبحوث لتفسير هذا التناقص ، و هو فوق ذلك يستطيع تغيير الجو الاجتماعي للمقابلة بحيث يكون أكثر واقعية ، و هو اقدر على الحكم على صدق الإجابات التي يحصل عليها من المبحوثين.

و يمكن عن طريق المقابلة التعرف على صور النفس البشرية مستعرضة بدرجة تسمح بالإلمام بظروف تنشئة المفحوص الاجتماعي ، و متعمقة بدرجة تسمح للباحث بالكشف عن دوافعه و مشاعره و اتجاهاته و عقائده و قيمة و هذا ما يصعب الحصول عليه عن طريق الوسائل الأخرى لجمع البيانات.

و يمكن عن طريق المقابلة أيضا التعرف على الأوضاع التي كانت تسود في فترة سابقة على إجراء البحث الميداني و بخاصة تلك التي خضعت لكثير من التغيرات و دخل عليها كثير من التعديل أو حتى الأوضاع التي إختفت و أصبحت مجرد ذكريات في أذهان بعض أعضاء المجتمع ، أو كما هو الشأن بالنسبة لأحداث التي تحدث في مواقع أو مجتمعات محلية أخرى لا تدخل في نطاق البحث الميداني و إن كانت تساعد

في إلقاء بعض الأضواء عن الملاحظات الاثنوغرافية التي يقوم الباحث بجمعها عن طريق الملاحظة في مجتمع البحث.

و عموما فإن المقابلة تتكون من ثلاثة عناصر القائم بالمقابلة و المبحوث و موقف المقابلة و هناك ارتباط وثيق بين هذه العناصر على نحو يؤثر في النتائج العامة للمقابلة ، و يتوقف نجاح المقابلة على مهارة القائم بها و مبلغ وعيه و إدراكه لمختلف العوامل في الموقف المحيط به و التي يمكن أن تدفع المبحوث إلى الوقوف موقفا سلبيا من الباحث او الى إعطاء بيانات محرفة لا تتسم بالصدق و الثبات⁽¹⁾.

- تعريف المقابلة :

يعرف بنجهام Bingham المقابلة بأنها المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها و ينطوى هذا التعريف على عنصرين رئيسيين هما :

1- المحادثة بين الشخصين أو أكثر في موقف مواجهة ، و يرى بنجهام أن الكلمة ليست هي السبيل الوحيد للإتصال فخصائص الصوت و تعبيرات الوجه و نظريات العين و الهيئة و الإيماءات و السلوك العام كل ذلك يكمل ما يقال .

2- المقابلة تختلف عن الحديث العادي فهي محادثة جادة و موجهة نحو هدف محدد مع وضوح هذا الهدف .

و يعرف انجلش - و - انجلش A. English.H.English المقابلة بأنها محادثة موجهة يقوم بها شخص من شخص آخر أو أشخاص آخرين هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها في بحث علمي أو للاستعانة بها على التشخيص و العلاج .

و تعرف جاهودا jahoda المقابلة بأنها التبادل اللفظي الذي يتم وجها لوجه بين القائم بالمقابلة و بين شخص آخر أو أشخاص آخرين .

1- نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، تحرير: د.مصطفى عمر حمادة.الناشر عالم المعرفة الجامعية -

أما ماكوبي و ماكوبي E.Maccby and N.Maccoby فإنهما يعرفان المقابلة بأنها تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف مواجهة حيث يحاول أحدهما و هو القائم بالمقابلة أن يستثير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث و التي تدور حول آرائه و معتقداته.

و تعرف بياتريس ويب أن المقابلة بالنسبة للباحث الاجتماعي في الاستقصاء و البحث تعادل أنبوبة الاختيار التي يستخدمها الكيميائي في معمله و الميكروسكوب الذي يتخذه البكتريولوجي في اكتشافاته.

نستخلص مما سبق أن المقابلة هي موقف للتفاعل الاجتماعي اللفظي تهدف إلى استئثار معلومات محددة تتعلق بهدف هذه المقابلة الذي قد يتمثل في البحث العلمي أو التشخيص أو العلاج أو التحقيق ، و يستخدم فيها بجانب التبادل اللفظي الإيماءات ، السلوك ، الشكل العام تعبيرات الوجه و العين ، وهي بالنسبة للباحث الاجتماعي معادلة لأنابيب الإختبار و الميكروسكوب للعالم في إكتشافه ¹.

- مزايا المقابلة :

1- للمقابلة أهميتها في المجتمعات التي تكون فيها درجة الأمية مرتفعة حيث أنها لا تتطلب من المبحوثين أن يكونوا مثقفين حتى يجيبوا على الأسئلة حيث أن القائم بالمقابلة هو الذي يقوم بقراءة الأسئلة .

2- تتميز المقابلة بالمرونة فيستطيع القائم أن يشرح للمبحوثين ما يكون غامضا عليهم من أسئلة و كلمات .

3- تتميز المقابلة بأنها تجمع بين الباحث و المبحوث في موقف مواجهة و هذا الموقف يتيح له فرصة التعمق في فهم الظاهرة و ملاحظة سلوك المبحوث فيستطيع الباحث عن طريق مقابله لأفراد الأسرة أن يشاهد حالة الأفراد السكنية و المعيشية دون أن يوجه أسئلة قد تبدو محرجة و قد يكون لها أثرها في المبحوثين فيرفضون التعاون مع الباحث .

4- المقابلة تساعد الباحث على الكشف عن التناقض في الإجابات و مراجعة المبحوث في هذا التناقض . فيستطيع الباحث مثلا أن يلاحظ تناقضا بين ما يذكره المبحوث عن سنه و عدد أولاده و عن طريق المناقشة يمكن للباحث أن يصحح الخطأ.

5- إذا أراد الباحث أن يوجه أسئلة كثيرة إلى المبحوثين فيمكنه إقناعهم بالأهمية العلمية للبحث و ما يمكن أن يستقيده المجتمع من ورائه و بهذا يكسب معاونتهم و يضمن استجابتهم للبحث.

6- يمكن الحصول على تعاون المبحوثين و تجاوبهم إذا ما أحسن عرض الموضوع و هذا يتوقف على خبرة الباحث و لباقتة.

7- توجيه الأسئلة في المقابلة بالترتيب و التسلسل فلا يطلع المبحوث على جميع الأسئلة قبل الإجابة عليها كما قد يحدث في الاستبيان ، و التساؤل يجب ألا يوحى بالإجابة و أن يصاغ بطريقة مفهومة وواضحة.

8- تضمن المقابلة للباحث الحصول على معلومات من المبحوث و أن يتناقش مع غيره من الناس أو يتأثر بأرائهم الشخصية و بذا تكون الآراء أكثر تعبيراً عن رأيه الشخصي .

9- يغلب أن تحقيق المقابلة تمثيلاً أكبر للمجتمع لان القائم بالمقابلة يستطيع الحصول على بيانات من جميع المبحوثين خصوصاً إذا أحسن عرض الغرض من البحث عليهم .

10- يحصل القائم على إجابات لجميع الأسئلة و إذا كانت الإجابات ناقصة يستطيع الاتصال بالمبحوثين و يقوم بمقابلة ثانية و ثالثة حتى يحصل على البيانات المطلوبة.

11- تسهم المقابلة في المراحل الأولى من البحث في الكشف عن الأبعاد الهامة للمشكلة و في لاقتراح الفروض و في إلقاء الضوء على الإطار المرجعية لاستجابات أفراد البحث .

12- تفضل في الحالات التي لا يتيسر فيها استخدام الملاحظة مثل الآمال في المستقبل ، الحالات التي يصعب فيها التنبؤ مقدما¹.

- عيوب المقابلة :

- 1- التكاليف الخاصة بالمواصفات و الوقت اللازم لإجراء المقابلة الشخصية لعينة كبيرة موزعة في أماكن متباعدة قد تجعل هذه الطريقة غير ممكنة عمليا .
- 2- قد ينجم عن تحيز الباحث لقضية ما تحريف الحقائق التي يجمعها بصورة تخدم أغراضه وأرائه الشخصية
- 3- اختيار و تدريب الباحثين اللازمين للقيام بهذه العملية و الإشراف عليهم يعد من الأمور المعقدة في هذه الطريقة إذا ما قورنت بطرق أخرى.
- 4- هناك التحيز الناجم عن ضعف الذاكرة بالنسبة للشخص المستجوب خاصة إذا ما تطلب البحث بيانات دقيقة عن ماضي بعيد .
- 4- لا تصلح هذه الطريقة وحدها في الحصول على بيانات تخرج أو تضر المبحوث كما في حالة البيانات الخاصة بالعلاقات الزوجية أو المبادئ السياسية التي تحرمها الدولة.

- أنواع المقابلات :

للمقابلة أنواع كثيرة و يمكن تصنيفها على النحو التالي :

1- من حيث الغرض : ومنها المقابلة لجمع البيانات :

و غالبا ما تكون هذه البيانات من النوع الذي يصعب الحصول عليه بطريق الملاحظة ، و تستخدم في الدراسات الاستطلاعية بقصد التعرف على أهم الحقائق المتعلقة بالمشكلة ، و تحديد الفروض التي يمكن وضعها تحت الاختبار و تستخدم أيضا في الدراسات الوصفية و تستخدم في الحصول على معلومات متعلقة بالأشخاص و المواقف المحيطة بهم .

3- نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، مرجع سابق.

2- المقابلة من حيث عدد المبحوثين : يمكن تقسيم المقابلات الى نوعين :

أ- المقابلة الفردية :

هي التي تتم بين القائم بالمقابلة و بين شخص واحد من المبحوثين و هو النوع الاكثر شيوعا في الدراسات و البحوث الاجتماعية.

ب- المقابلة الجماعية :

وهي التي تتم بين الباحث و بين عدد من الأفراد في مكان ووقت واحد ، و يستخدم هذا النوع من المقابلة لتوفير الوقت و الجهد و للحصول على معلومات أوفر لأن باجتماع عدد من الأفراد يساعد على تبادل الخبرات و تذكر التفاصيل التي تغيب عن أذهان بعض ممن أجريت معهم مقابلات على المستوى الفردي ، و يجب ألا يكون حجم الجماعة ، كما ينبغي أن يتوفر بها أكبر قدر ممكن من التجانس سواء من ناحية النوع أو السن أو المستوى الاقتصادي أو الثقافي .

أما بالنسبة لسير المناقشة الجماعية فينبغي أن يأخذ القائم بالمقابلة في الاعتبار جميع الأفكار التي تثار حتى التي تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن الموضوع لأنها قد تنفع في استئارة أفكار أخرى لدى آخرين ، و إذا كان بعض أفراد الجماعة ساكنين بطبيعتهم فعلى القائم بالمقابلة أن يخلق الحوافز التي تدفعهم إلى المناقشة و إبداء الرأي ، و إذا أراد بعض الأعضاء ابتكار المناقشة أو فرض آرائهم على المجموعة فعلى القائم بالمقابلة أن يعالج الأمر بلباقة ليسمح للجميع بالمساهمة جانبية حتى لا تنتشت المجموعة فلا تؤدي المقابلة أهدافها.

3- المقابلة من حيث درجة المرونة و حرية الباحث في موقف المقابلة :

تنقسم المقابلة من حيث درجة مرونتها إلى :

طريقة المقابلة الموجهة:(المقيدة / المقننة)

وتتمثل تلك الطريقة في استخدام استمارة تتكون من مجموعة من الأسئلة التي وضعت بدقة حول موضوع معين، وفي معظم الأحيان تشمل الاستمارة كذلك الإجابات المحتملة بحيث يمكن ملؤها بسرعة وتفرغها في جداول. وعلى الباحث أن يقرأ كل

سؤال أمام الشخص المراد دراسته، ثم يسجل إجابته في الاستمارة ويتم ذلك غالباً بوضع علامة أمام إحدى الإجابات المكتوبة، ويلاحظ أن قراءة الأسئلة يجب أن تتم بصورة محايدة بحيث لا تؤثر على إجابات المستمع. وتستخدم هذه الطريقة بكثرة في أبحاث علم الاجتماع، ولكنها غير منتشرة في الدراسات الأنثروبولوجية، ويرجع السبب في ذلك أن استخدام طريقة المقابلة الموجهة لا تتجح إلا في المجتمعات المتمدينة، أما في المجتمعات البدائية أو الريفية فإنها تثير شكوك الفرد لعدم تعوده على تلك الطريقة الرسمية في الحديث وخاصة أن أغلب أفراد هذه المجتمعات لا تعرف الكتابة والقراءة ولم يحدث أن قابلهم أحد وأخذ يسجل أقوالهم، ولذلك لا يستخدمها الأنثروبولوجيين إلا في المجتمعات المتمدينة وبجانب طريقة الملاحظة بالمشاركة وطريقة المقابلة غير الموجهة.

طريقة المقابلة غير الموجهة: (الحرّة أو غير المقننة)

يستخدم الأنثروبولوجي أثناء الدراسة الميدانية بالإضافة إلى طريقة الملاحظة بالاشتراك طريقة " المقابلة غير الموجهة" وتتمثل في مقابلة بعض أفراد المجتمع الذي يتمتعون بصمعة طيبة في المجتمع موضوع الدراسة، ويحاول في المقابلات الأولية اكتساب ثقتهم بحيث يفتحون له قلوبهم ولا يحاولون تزييف الحقائق، وفي المقابلات التالية يبدأ الباحث في توجيه الأسئلة لهؤلاء " المبلغين" ويتيح لهم فرصة الإجابة المطولة دون توجيه الإجابة وجهة معينة، وعندما ينتقلون في الحديث من موضوع لآخر لا يحاول قطع الحديث وإنما على العكس يشجعهم بكلمة أو أخرى تزيد من حماسهم في الاسترسال في الحديث حول الموضوع الذي يهم الباحث، ويمكن للباحث تدوين تلك المعلومات أو تسجيلها بالآلات الحديثة إذا كان قد اكتسب ثقتهم، وفي حالة عدم اكتساب تلك الثقة يمكن تدوين النقاط الأساسية بطريقة لا تثير الشك، وفي بعض الأحيان لا يكتب الباحث أية معلومات أثناء المقابلة غير الموجهة، وإنما عليه تدوين كل ما سمعه بعد المقابلة مباشرة حتى لا ينسى بعض عناصرها. وتتلخص أهمية هذه الطريقة في أنها تتيح فرصة إظهار سمات شخصية الأفراد وإعطاء معلومات

تفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة. ولا توجد تلك المميزات في طريقة المقابلة الموجهة. (1)

- صياغة موقف المقابلة :

المقصود بصياغة موقف المقابلة متطلبات استخدام المقابلة كوسيلة لجمع البيانات و يمكن تحديد هذه المتطلبات المنهجية في مطلبين أساسيين و مرتبطين الأول هو

صياغة الأسئلة Questions Formulation

أي وضع أداة القياس و المطلب الثاني هو القيام بعملية المقابلة ذاتها Interviewing أي استخدام هذه الأداة و تتضح هذه العلاقة الوثيقة بين هذين المطلبين حينما يقوم الباحث بالعمليتين معا دون أن تكون هناك فواصل زمانية أو مكانية بين العمليتين كما في البحوث الأنثروبولوجية².

ب- كيفية إجراء المقابلة :

نعرض هنا لبعض المبادئ التي يجب أن يراعيها الباحث و ليس من الضروري أن يلتزم بها الباحثون ليس من الضروري أن يلتزم بها الباحث التزاما حرفيا بل ليختار منها ما يتناسب مع ظروف المقابلة التي يجربها و طبيعة البحث الذي يقوم به .

1- أن أول ما يسعى إليه القائم بالمقابلة هو استثارة الدافع لدى المبحوث للاستجابة ، فالمبحوث يواجه شخصا غريبا عنه و يطلب إليه أن يدلي ببيانات تتصل بشئون حياته الخاصة أو مرتبطة بتقاليد راسخة ، و نجاح المقابلة ودقة الحصول على البيانات المطلوبة يتوقفان إلى حد كبير على مدى فهمه للأشخاص الذين يواجههم و قدراته على تطوير رابطة شعورية حميمة Rapport بينه و بين المبحوثين فيبدأ بمقدمة مختصرة يشرح فيها الغرض من المقابلة كما يبين لأفراد البحث أن البيانات المطلوبة لن تستخدم إلا لغرض البحث العلمي.

¹ - د. عاطف وصفي، المرجع السابق، ص ص 289-291.

- نغمة من أعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، مرجع سابق.²

2- يصف الطريقة التي تم بها اختيار الشخص المبحوث

3- يعرف بالهيئة التي تقوم بهذه الدراسة.

4- أن يدع المبحوث يتأكد بأن كل ما يدلي به سيظل في طي السرية و أن الدراسة تبغي الوقوف على مجموع الاتجاهات دون البحث في المسائل الذاتية .

5- أن تبدأ القابلة بالموضوعات التي ليس لها طابع شخصي ثم التدرج في الحديث إلى أن يبدأ المبحوث في الإحساس بالاطمئنان و الثقة و عندئذ يمكن الانتقال إلى الموضوعات ذات الطابع الشخصي .

6- أن يحرص الباحث على استهلال المقابلة بالموضوعات التي يدور حولها اهتمامات المبحوثين و أن يتحدث باللغة التي يجيدها المبحوث و استخدامه لهجته كلما أمكن ذلك بدون افتعال حتى لا يتحول إلى نوع من التقليد الذي يعنى السخرية.

7- تهيئة جو المقابلة بأن يخصص للمقابلة الوقت المناسب و الظروف الملائمة و في كثير من الأحيان تكون المقابلة مقصورة على الباحث و المبحوث لأن وجود أفراد آخرين قد يثير مخاوف المبحوث مما يدفعه إلى الإحجام عن الادلاء بالبيانات الصحيحة ، و أن إشاعة جو من البساطة و عدم الكلفة في الحديث يؤدي إلى اختفاء الخوف و القلق لدى المبحوث و يحسن أن يقوم القائم بالمقابلة بدور الخبير الذي يحاول استكمال معلوماته من شخص يستطيع أن يقدم له المعلومات .

8- ينبغي أن يكون الباحث مستعدا للإجابة على أي أسئلة توجه إليه من المبحوث و يجب أن يحدد موعدا معه لإجراء المقابلة مع إشعاره بأن هذا الوقت مخصص له بالذات و يجتهد في التواضع و الظهور بمظهر اللياقة.

9- توجيه الأسئلة : لا تلقي الأسئلة بطريقة جامدة إملائية و إذا كانت الأسئلة معدة من قبل في استمارة أو دليل عمل على الباحث أن يقرأها جيدا و يتدرب عليها و يعرف ترتيبها المنطقي فيبدأ بالبسيط متدرجا إلى مستويات أعمق ، كما لا يجب توجيه أكثر من سؤال حتى يستطيع المبحوث أن يستجمع أفكاره بالنسبة لكل سؤال و ينظم إجابته تنظيما دقيقا ، و أن يظل القائم بالمقابلة ممسكا بزمامها و يوجهها إلى الناحية التي تحقق أهداف البحث دون أن يترك الأمر للمبحوث يوجهه كيفما يشاء ، و يستحسن

توجيه الأسئلة بنفس الأسلوب لكل الأفراد و توضيح معاني الكلمات الغامضة أو إعادة السؤال عدة مرات.

10- الحصول على الإجابة : يجب أن يسعى القائم بالمقابلة إلى الحصول على إجابات جميع الأسئلة فإذا وجد أن المبحوث قد أجاب على السؤال من سؤال سابق فلا ينبغي أن يتخلى عن ذلك السؤال يوضع للتأكيد من صحة الإجابة ، أما إذا كانت الإجابة ناقصة فعليه أن يحاول استكمال المعلومات ، و أن يحاول أن يعرف العوامل التي تدفع المبحوث إلى عدم الإجابة فقد يكون المبحوث حقا لا رأي له في الموضوع أو لا يكون قادرا على التعبير عن رأيه بالألفاظ أو أن يكون السؤال غير واضح و على القائم بالمقابلة أن يميز بقدر الإمكان بين هذه الحالات و أن يتصرف في كل موقف بما يناسبه ، وإذا حاول المبحوث أن يسأل القائم بالمقابلة عن رأيه فعليه أن يبتسم مصرحا بأن مهمته الحصول على معلومات لا أن يدلي برأيه الخاص و يجب أن يتجنب الإيحاء بإجابة معينة ، و أن يمنحه الفرصة الكاملة ليقول كل ما يريد بالصورة التي يريدها و إذا استطرد المبحوث إسترداد خارجا عن الموضوع فينبغي أن يعيده إلى الموضوع برفق ، و ينبغي ألا يظهر القائم بالمقابلة نفورا و اشمئزا من المبحوث و ألا يظهر دهشة و استنكارا لما يقول و ألا يظهر دهشة و استنكارا و ألا يصدر عليه أحكاما خلقية .، و من الأسئلة من يتناول بعض الحقائق الخاصة بالسن أو الدخل فيجب التأكد من صحتها في ضوء البيانات التي أدلى بها المبحوثين و محاولة الاستدلال على صحتها فمن الممكن إلقاء بعض الأسئلة التي لا تشتمل عليها الاستمارة (أو الدليل) . ، كما أنه لا بد من ملاحظة الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية للمبحوثين أثناء إجراء المقابلة و مطابقتها بما يحصل عليه من إجابات.

11- تسجيل إجابات المبحوثين : أن عدم تدوين إجابات المبحوثين وقت سماعها يؤدي إلى نسيان كثير من المعلومات و تشويه الكثير من الحقائق و على ذلك فإنه من الضروري تسجيل إجابات المبحوثين بعد الإدلاء بها مباشرة ، ففي حالة الاستمارة التي لا تحتوي على أسئلة مفتوحة فما على الباحث إلا أن يضع علامة مميزة أمام الإجابة التي يختارها المبحوث ، أما إذا كانت المقابلة حرة فينبغي تدوين كل ما يقوله تدوينا

مرتب و يمكن استخدام أجهزة التسجيل و يراعي في ذلك موافقة المبحوث لأن إخفاء ذلك يتعارض مع الأصول التي يجب مراعاتها في مواقف البحث لأن إخفاء ذلك يتعرض مع الأصول التي يجب مراعاتها في مواقف البحث فمن المستحسن تسجيل إجابات المبحوثين مباشرة و على مشهد منهم لتفادي الأخطاء التي تترتب على التسجيل من الذاكرة و أهمها النسيان أو التحريف.

- اختيار القائمين بالمقابلة :

المقابلة عمل فني يعتمد في المقام الأول على شخصية الباحث و أسلوبه و مقدرته على استهلال الحديث و إثارة عوامل التشويق التي تشعر المبحوث بإيجابيته في البحث. كذلك يتطلب إجراء المقابلة أن يكون القائم بها مقبولا من المبحوثين أنفسهم و من أجل ذلك ينبغي التدقيق في اختيارهم في ضوء سماتهم الشخصية و مستوى معرفتهم و خبراتهم و علاقة كل ذلك بموضوع المقابلة و أهداف البحث ، فالمعيار الأساسي في اختيار القائمين بالمقابلة هو أنه يمكن اعتبارهم من جهة نظر المبحوث أشخاص لديهم المعرفة الكافية و الفهم الذي يتحقق على أساسه الاتصال الفعال بين الباحث و المبحوث .

و لقد قدم نادل Nadel و كلاهون Kluckhon تصورا لتدريب الباحثين على المقابلة يتم على أساس اختيار دقيق للقائمين بها يصل إلى حد تحليلهم نفسيا قبل تدريبهم و تستخدم طرق مباشرة و طرق أخرى غير مباشرة للتدريب مما يجعلنا نصل إلى نتائج خالية إلى حد بعيد من التحيزات الشخصية . و لقد أوضحت¹ الدراسة التي قام بها المركز القومي لبحوث الرأي العام بالولايات المتحدة عن مصادر الخطأ في المقابلة كوسيلة لجمع البيانات تتخلص في مظهر و أسلوب القائم بالمقابلة و اتجاهاته و توقعاته و طريقة توجيه الأسئلة و تباين طرق تسجيل الاستجابات و المعلومات².

- نموذج انثروبولوجية عن كيفية استخدام المقابلة :

¹ - إذا لم يتيسر الباحث أن يدون المعلومات من الإخباري وقت إجراء المقابلة أن يقوم بتدوينها بعد انتهاء المقابلة مباشرة و قد يستخدم أثناء المقابلة بعض الرموز أو الكلمات التي تساعد على تذكر المعلومات بدقة .

- نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، مرجع سابق.²

يذكر أ.د. أحمد أبوزيد حول أهمية استخدام المقابلة في الدراسات الانثروبولوجية - في كتابه " المجتمعات الصحراوية في مصر": (أنه لا يمكن الاستغناء عن المقابلة و الإخباريين الذين يعتبرونهم الأداة الرئيسية للحصول على المعلومات و البيانات المتعلقة بالأوضاع الاجتماعية التي يصعب إخضاعها للملاحظة المباشرة ، كما تساهم المقابلة في إلقاء بعض الأضواء على الملاحظات الأثنوغرافية التي يقوم الباحث بجعلها عن طريق الملاحظة في مجتمع البحث مثل وصف مجالس القضاء العرفي التي أتيح للإخباري المشاركة فيها أو تتبع أشجار النسب و في تقويم مشروعات التنمية و تعرف رأي الأهالي و نظرهم إليها و إلى القائمين عليها).

ج- طريقة مدخل تاريخ الحياة:

يميل الباحث في كثير من الأحيان إلى جمع مادة مكثفة عن أشخاص ذو فصاحة طبيعية، لأن الطبيعة الشخصية لتاريخ الحياة تمثل تمثيلا كاملا للمعلومات الثقافية لها أهميتها الكبيرة في فهم طرق الحياة الخاصة.

وتجمع مادة تاريخ الحياة عادة في محاولة لربط تجريدات الوصف الأثنوجرافي بحياة الأفراد في المجتمع، ونظرا لما يتيح استخدام تاريخ الحياة من الحصول على معطيات شرعية تتناول ما يتخذه المبحوث عن قرارات هامة، ويكشف عن مشاعره إزاء الأشخاص والأحداث، وتحيط بدوافعه، وتبرز ما يقدمه من تبريرات ذاتية بجوانب أفعاله، إن ذلك يسهم إسهاما مباشرا في إتاحة الفرصة أمام الباحث الاجتماعي، لكي يفهم العمليات الحاسمة في تاريخ حياة الحالة موضع الدراسة. (1)

وتعتبر هذه الطريقة مهما جدا لأنها إذا استغلت بطريقة حسنة لتمكنة الباحث من حسن المشاهدة، وعمق التحليل، والموضوع الذي تتخذه طريقة تاريخ الحياة مجالا لها هو صوغ مجموعة من التفسيرات التي تعكس الخبرة الذاتية لفرد، أو جماعة إزاء مجموعة من الوقائع والأحداث التي تحدد الطريقة التي أصبح الفرد بمقتضاها عضوا في تنظيم أو في جماعة، أو سيرت اهتماماته على نحو أدى به إلى أن يسلك سبيل

1- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص 126

الإنحراف، ويتحقق ذلك من خلال تركيز الاهتمام على عرض خبرة الحالة موضع الدراسة في ظروف موقفها، وذلك من وجهة نظر هذه الحالة، واستجابتها لتلك الظروف، بحيث تبدو نتائج دراسة تاريخ الحياة كما لو كانت قصة، يحدد فيها الباحث ردود فعل بطلها إزاء الأحداث الهامة التي يذكرها الباحث تفصيلاً، ويعرضها في ضوء آراء واستجابات وتأويلات الشخصيات الأخرى الحاسمة في مجرى حياة الحالة الرئيسية موضوع الدراسة، هذا وتستند طريقة دراسة تاريخ الحياة في افتراض أساسي مؤداه أنه ينبغي دراسة سلوك الإنسان، وفهمه من خلال الكشف عن نظرة الإنسان القائم بهذا السلوك. (1)

د- طريقة الاختبارات النفسية:

قد يستخدم بعض الأنثروبولوجيين أثناء دراساتهم الميدانية بعض الاختبارات النفسية لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ومن أمثلة تلك الاختبارات " اختبار رورشاخ ".

ويتكون ذلك الاختبار من عشر لوحات، رسم على كل واحدة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتخذت شكلاً تغير منتظم ويطلب من شخص أن يصف ما يمكن أن يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة، وعلى أساس ما يقرر الشخص يمكن التوصل إلى تحديد بعض خصائص شخصيته. ويجب ملاحظة أن قليلاً من الأنثروبولوجيين الاجتماعيين يستخدمون الاختبارات النفسية، ولكن يستخدمها بكثرة الأنثروبولوجيين الذين يتخصصون في تحديد العلاقات والشخصية والثقافية في مجتمع ما.

هـ- طريقة المقارنة:

لا يقنع الأنثروبولوجيين بوصف قطاعات الثقافة في المجتمع موضوع الدراسة وإنما يعمل على تحليل المعلومات الوصفية ليس في تحديد أنماط العلاقات الاجتماعية وإنما لفهم الثقافة ككل ويتم ذلك عن طريق الكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤدها النظم الاجتماعية وكذلك الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية

¹ -Jean Lopans: L'enquête ethnologique de terrain/11, édition: claire hemmout.1998 P P 50 – 52.

وباقى النظم الثقافية، ولا بد للوصول إلى تلك الصورة الكلية، وعلى الأنثروبولوجيين بعد الكشف عن طبيعة الثقافة والأنماط الاجتماعية الأساسية أن يقارن تلك الظواهر الاجتماعية والثقافية بمثلثتها في المجتمعات الأخرى، ولاشك أن كل دراسة جديدة لكل مجتمع تساعد على توسيع مجال المقارنة، ويجب عند المقارنة استخدام الدراسات الميدانية التي يمكن الاعتماد عليها والثقة في موضوعيتها، ونقصد بذلك الدراسات الميدانية التي يقومون بها المتخصصون في الأنثروبولوجيا بفروعها المختلفة أما الدراسات الميدانية التي يقوم بها الرحالة ورجال الصحافة وغير المتخصصين فهي لا تصلح للمقارنة.

يميل بعض الأنثروبولوجيين وخاصة المتخصصين في الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى تركيز دراساتهم الميدانية في مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات ويعرف هذا الاتجاه " بتقليد مالينوسكي" ويتلخص في التخصص في مجتمع واحد من ثلاث مجتمعات على الأكثر بحيث يقضي العالم حياته كلها في الكتابة عنهم وتحليل القطاعات الثقافية لكل منهم للوصول إلى فهم عميق لثقافة تلك التجمعات. ويؤمن العلامة مالينوسكي بأنه لا يمكن فهم ثقافة من ثقافات الشعوب البدائية إلا إذا درست دراسة عميقة مركزة، وقد نادى بضرورة القيام بدراسة ميدانية مركزة واحدة على الأقل قبل التخصص في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ومعظم الجامعات في العالم قد استجابت لذلك النداء وجعلت الدراسة الميدانية شرطاً ضرورياً للحصول على الدرجات الجامعية العالية في الأنثروبولوجيا. ولاشك أن أوضح مثال لذلك الاتجاه دراسات العلامة مالينوسكي ذاته، فقد استغرقت دراسته الميدانية " التروبرياندر " بمنطقة ميلانيزيا مدة أربع سنوات وكان أول من استخدم لغة الأهالي لجمع المعلومات وقد أتاحت له هذه المدة الطويلة فرصة التغلغل والتعمق في الحياة الاجتماعية عند تلك القبائل ووضع عنها عدة مؤلفات تدور كلها حول ثقافتهم. ولاشك أن تقليد مالينوسكي يتعارض بعض الشيء مع اتجاه إجراء المقارنات بين الأبنية الاجتماعية للمجتمعات المختلفة لأنه يركز اهتمام العالم بمجتمع معين بحيث يستنفذ هذا التركيز كل جهودات العالم، هذا بالإضافة إلى أنه يؤدي إلى قلة عدد الدراسات مما يعرقل المقارنات وقد

لاحظ العلامة "بريتشارد" تلك المشكلة ونادى بتطبيق نوع من المقارنة أطلق عليه اصطلاح " المنهج التجريبي"، ويتلخص في أن يقوم كل أنثروبولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسته العميقة لمجتمع واحد، ثم يقوم نفس الباحث أو باحث آخر من صحة وواقعية تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات أخرى، وهكذا تتسع دائرة فحص تلك النتائج تدريجيا، وهي في الحقيقة لا تخرج عن كونها فروض وتصبح تلك الفروض في النهاية قوانين أو مبادئ عامة ومن العلماء الذين طبقوا هذه الطريقة العلامة " شنيدر " عندما فحص النتائج التي توصل إليها العلامة بريتشارد في دراسته لقبائل بريتشارد " النوير " عن طريق تطبيقها على قبائل " لزولوا "؛ وهناك مثل آخر يتمثل في دراسة العلاقة " نادل " الذي فحص ظاهرة السحر في أربعة مجتمعات إفريقية. ويرى العلامة " شابيرا " أنه يمكن المقاربة مكانيا ثم تتسع المقارنة تدريجيا. ويجب ملاحظة الفرق الكبير بين طريقة المقارنة المبينة فيما سبق وطريقة المقارنة التي استخدمها علماء القرن التاسع عشر، أن طريقة المقارنة المقصودة هنا تعتمد على دراسات ميدانية موضوعية قام بها متخصصون وبالتالي تؤدي إلى مبادئ عامة وقوانين اجتماعية وثقافية، أما المقارنة التي طبقها علماء القرن التاسع عشر تعتمد على أقوال الرحالة وغير التخصصيين وتقسم بالموضوعية ولذلك لم يترتب عليها سوى التأملات والتخمينات التي ثبت عدم واقعيتها. وكثيرا ما تحتاج المقارنة التحليلية إلى استخدام المناهج الإحصائية واستخدام العينات وقد لاحظنا ذلك في دراسات العلامة " ميردوك ". (1)

IV- الصعوبات التي تواجه البحث الأنثروبولوجي:

يواجه البحث الأنثروبولوجي معوقات وعقوبات مختلفة متفاوتة في درجتها يمكن تحديدها على الشكل التالي:

1- صعوبات تختلف بالاختلاف التدريجي للمجال التقليدي للبحث الأنثروبولوجي:

يشير كلود ليفي ستراوس إلى هذه النقطة بالقول: " من الناس من يعتقد أن الأنثروبولوجيا مقضي عليها بالاندثار مع مادتها التقليدية التي نتناولها بالدراسة، وهي

1- د. عاطف وصفي، المرجع السابق، ص 291-294.

الشعوب البدائية، ولكي تظل الأنثروبولوجيا على قيد الحياة فمن المفترض عليها أن تتخلى عن بحثها الأساسي، وتكرس نفسها لمشكلات الدول النامية من جهة وإلى الظواهر المرضية التي من الممكن ملاحظتها في مجتمعاتنا من جهة أخرى " وعلى ذلك برزت إلى الوجود الأنثروبولوجيا التطبيقية إلى جانب استمرار مهام المجال الكلاسيكي للأنثروبولوجيا، ومع ذلك لا يجب أن نقلل من الانقراض السريع المفزع لما يسمى بالشعوب البدائية في جميع أنحاء العالم. بالإضافة إلى خطر آخر يواجه البحث الأنثروبولوجي يتمثل في أن بعض الشعوب في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية... إلخ كانت تتمتع دائما بكثافة سكانية مطلقة، هذه الكثافة تتزايد الآن، وهؤلاء السكان قد تجاوزوا مدى دراسة الأنثروبولوجيا، لا بسبب أنها قد اختفت بل بسبب أنها قد تغيرت، فحضارتهم تطورت بسرعة في اتجاه النماذج الغربية، بالإضافة إلى العداء الذي ظهر بعد استقلال هذه الشعوب اتجاه الأنثروبولوجيين حيث بدأ اتجاه عدائي من جانب هذه الشعوب أو صفوتهم يعتبرون تقاليدهم القديمة وعقائدهم علاقة من علامات التأخر الحضاري التي يرغبون في تحرير أنفسهم منها بأسرع ما يمكن، ومن ثم فهم يوجهون اللوم للأنثروبولوجيين لاهتمامهم بهذه العادات، وإضفاءهم قيمة وهمية عليها، وهذا ما شكل صعوبة كبيرة أمام الباحثين الأنثروبولوجيين في قيامهم بأداء أدوارهم. (1)

2- صعوبات ترتبط بطبيعة المنهج الأنثروبولوجي:

وهي تتمثل فيما يواجهه الباحث الأنثروبولوجي في الميدان أو في مجال عمله الحقلية ومنها ما يرتبط بالمنهج الأنثروبولوجي نفسه، وما يقتضيه من إقامة في منطقة أو مجتمع البحث (مخاطر الحيوانات - الأمراض... إلخ) ولمدة طويلة. ضرورة تعلم لغة الأهالي عندما تختلف عن لغة الباحث وغير ذلك، بالإضافة إلى العدوانية من طرف سكان بعض القبائل التي قد تصل إلى حد القتل مثل ما حدث ل: مانجو بارك الذي قتل بالنيجر، وهيوكلا برتون وغيرهم.

1- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص 186.

بالإضافة إلى هذا فإن صعوبة تعلم لغة الأهالي وفك رموزها ومفاهيمها هي من أصعب المهام التي تواجه الباحث، فعادة عندا يزور الأنثروبولوجي أفراد غرباء فإنه يكون لديه بعض التصورات مثل (الله) و (القوة)، (العائلة) إلخ، قد لا يجد لها نفس المعاني والدلائل عند المجموعة المدروسة وهذا يؤدي به إلى تفسير الظواهر المختلفة تفسيراً خاطئاً. (1)

3- صعوبات ترتبط بشخصية الباحث ذاته:

هناك نوعان من الصعوبات ترتبط بشخصية الباحث تعترض البحث الأنثروبولوجي، وأول هذه الصعوبات - تتبع من ذات الباحث، وأعني به التحيز وعدم تحري الموضوعية، أما النوع الثاني من الصعوبات التي ترتبط بشخصية الباحث فتتمثل فيما يواجهه الباحث الأجنبي يعاني - عادة - من مشاكل ترتبط بالأوضاع السياسية والاجتماعية، ومن الغريب أن يكشف مؤتمر عن المشاكل التي تواجهها البحوث الأنثروبولوجية في أمريكا اللاتينية عن أن المصاعب التي يعاني منها الباحث الزائر، وقد تبين - مثلاً - أن عدم الاستقرار في أمريكا الوسطى يجعل من الخطر القيام بإجراء دراسة ميدانية، سواء كان القائم بهذا البحث باحثاً أجنبياً أو محلياً، ويشكل ما يسمى الآن بتسييس العلوم الاجتماعية عقبة كبيرة أمام الباحث الأنثروبولوجي، حيث تطلب بعض البلدان من الباحث الأنثروبولوجي أن يعبر بحثه أساس عن الولاء السياسي، وليس من السهل عموماً أن يكون الباحث موضوعياً فيما يتعلق بالمسائل التي تهدد وتشوه الالتزامات السياسية أو غيرها من الالتزامات الاجتماعية، وعموماً فإنه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يتأثر الأنثروبولوجي، بالجو العلمي العام، كما أوضحت الدراسات الأنثروبولوجية أن هناك مشكلة أخرى تحد من كفاءة الباحث الأنثروبولوجي، حيث تبين أن الظروف قد تفقد الأنثروبولوجيين قدرتهم - تماماً - على الحركة، بحيث يصبح أي تدخل منهم ضاراً جداً بعملهم كأنثروبولوجيين، فمثلاً عندما تتوزع الجماعات الجماعية في مناطق محددة كل منها، على أساس أمني يصبح الأنثروبولوجيون غير

1 - د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص 189 - 190.

مرغوب فيهم، سواء المحلي منهم أو الأجنبي الذي اتهم - دائما - بأنه نصيرا للاستعمار. (1)

وانطلاقا من هذه الصعوبات يجب على الباحث أن يراعي العديد من الاعتبارات أثناء بحثه وعند كتابته تقريره ومنها:

- مراعاة مستوى المبحوثين واتجاهاتهم وظروفهم المتغيرة في دراسة المجتمعات البدائية يجب أن تكون الأسئلة التي يطرحها الباحث على مبحوثه بسيطة وواضحة وأن لا تكون ساذجة أي أن يطرح الباحث سؤال عن ظاهرة يراها كل سكان المجموعة بديهية ومعروفة، كما يتجنب طرح أسئلة عن شخص ما في وجود سيده أو شيخ القبيلة أو شيخ كبير، ويلجأ الباحث إلى الأفراد ببعض الأشخاص ليسألهم حول نفس الأمر من أجل الوصول إلى مقارنات تعطي نتائج أدق وقد يلجأ الباحث إلى إثارة حماس الأفراد من المجموعة المدروسة من خلال التحدث معهم حول البطولات والأسلحة ... إلخ من يجرحهم إلى الكشف عن ما يريد.

- مراعاة ما يطرأ على المجتمعات البشرية من تغير دائم: يجب أن ينتبه ويتذكر الأنثروبولوجي أن المجتمع الذي يبحته يعيش في مرحلة تغير بما في ذلك المجتمعات البدائية التي تتمسك بتلك العادات والتقاليد التي ترى أنها أساس وجودها والحقيقة أنه لم يعد هناك مجتمع بدائي منعزل تماما عن التحولات الكبرى التي يعرفها العام، خاصة بعد الثورة الصناعية والعلمية والتوسع الاستعماري للرجل الأبيض في كل القارات وما أحدثه من تحول في طبيعة حياة هذه المجتمعات. فعلى الباحث أن يميز بين ما هو أصيل وما هو دخيل في ثقافة وتصرفات وسلوكيات هذه المجتمعات. (2)

كذلك فإن الباحث الأنثروبولوجي وهو يدرس المجتمعات الحديثة المحلية عليه أيضا مراعاة عدة متغيرات أساسية منها:

1- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص 190.
2- فرانسوا لابلاتين: مفاتيح الأثروبولوجيا، ترجمة حفناوي عمامرة، مركز النشر الجامعي، تونس 2000، ص ص 19 - 20.

- مراعاة تقاليد المجتمعات، فيجب ألا يسأل عن أمور تتنافى مع قيم المجتمع وتقاليد.
- أن تكون الأسئلة التي يوجهها الأشخاص واضحة بسيطة، وأن يجرأ الموضوع إلى عدة موضوعات صغيرة متكاملة.
- أن تكون المصطلحات واللغة المستخدمة مرتبطة بالوقائع المختلفة للظاهرة الاجتماعية أو الثقافية. (1)
- أن يلتزم الباحث بالقوانين والعادات التي تحكم المجموعة وأن لا يبدي معارضة لها طوال فترة تواجده داخل المجموعة المدروسة.
- يجب ألا يصدق الباحث أو يرفض ما ينقله الإخباري من معلومات وما يصدره من أحكام بل يجب أن يسجلها كما جاءت ثم في مرحلة لاحقة يحاول التأكد منها وتسجيل الملاحظات كما عاينها وأن لا يكتف بتسجيل الاستنتاجات لأنها قد تكون خاطئة. (2)

4- صعوبات ترتبط بتطبيق الطريقة الأنثروبولوجية في دراسة المجتمعات المعقدة:

- إن الدراسات الكثيفة والواسعة التي أجريت على المجتمعات البدائية أو الشبه المنعزلة جعلتهم يتفقون على نمط عام في تحليل ودراسة المجتمعات البشرية والعمليات الاجتماعية المختلفة ويقوم هذا النمط على ثلاث ميكانيزمات هي:
- أ- تفاعل نفس الأشخاص والمجتمعات في مواقف مختلفة، تفاعلا يجعل التزاماتهم تجاه جماعة معينة يؤثر في سلوكهم في مواقف أخرى وجماعات أخرى.
 - ب- تحليل العلاقة بين عناصر الثقافة من ناحية والعلاقات الاجتماعية من ناحية أخرى.
 - ج- التأكيد على العلاقات المستمرة بين الأنشطة الاجتماعية في تلك المجتمعات المختلفة والمناشط الاجتماعية، فالأنشطة الشعائرية، والدينية والقانونية والسياسية على الرغم من اختلاف كل منها عن الأخرى، إلا أنها ت

1- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 191 – 199.

2- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 200 – 201.

تبدو متداخلة ومتراطة ببعضها في أغلب جماعات ومواقف تلك المجتمعات،
لدرجة أن كل نشاط يعتمد على غيره من المناشط.
ولكن الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية في مجال المجتمعات المعقدة (خاصة
المجتمعات المعاصرة والحديثة) لم تحل جميع المشاكل المرتبطة بهذه المجتمعات،
فالميكانيزمات التي استخدمتها تلك الدراسات لم تكن مؤثرة وفعالة، وأوضحت هذه
الدراسات أن الأنماط المختلفة من الأنشطة الاجتماعية أو الشعائرية أو... إلخ في
أغلب المجتمعات المعقدة غير مرتبطة ببعضها وغير متداخلة بقوة، كما هو الحال في
المجتمعات المحدودة النطاق، فكل نمط من النشاطات يميل إلى أن يتبلور ويكون قالب
أو إطار تنظيم، أو نظام مستقل بذاته، وهذا ما جعل من الصعوبة معرفة الوظيفة
الدقيقة لأية جماعة داخل البناء الاجتماعي الكلي في المجتمعات المعقدة، أو معرفة
الوظائف الكاملة التي تنجزها أية جماعة في المجتمع في المجالات السياسية
والاقتصادية... إلخ.⁽¹⁾

خاتمة:

إن ما رأيناه في بحثنا هذا من خصوصية تميز الأنثروبولوجية بمناهجها وطرق
وأدوات بحوثها تجعل منها علما واسعا يشمل مختلف التخصصات والعلوم ويأخذ منها
لخدمة المعرفة العلمية الدقيقة والتميزة بعمق التحليل والقدرة على التفسير الدقيق رغم
كل ما حققته الأنثروبولوجيا من تطور كبير من حيث أوعية البحوث المنجزة وتطوير
للمناهج العلمية وتحديدها للصعوبات التي تواجهها خاصة بتراجع المجال التقليدي
لموضوع بحثها وهو المجتمعات البدائية فإنها تطور أكثر فأكثر ويوم بعد يوم لدراسة
وفهم الإنسان في حياته العصرية بكل ما تحمله من تعقيد واتساع وانفصال للنشاطات
والأدوار التي يقوم بها الفرد.

وهذا ما فتح الباب واسع أمام الباحثين الأنثروبولوجيين لتوسيع أبحاثهم ومعارفهم.

¹ - إ. يفانز برتشارد، المرجع السابق، ص ص 106 - 107.

ونختم هذا بما أشار إليه المفكر تلود ليفي شراوس حول مستقبل الانثربولوجيا: « ... لكي تظل الانثربولوجيا على قيد الحياة، فمن المفروض عليها أن تتخلى عن أبحاثها الكلاسيكية، وتكرس نفسها لمشكلات الدول النامية من جهة، وإلى الظواهر المرضية التي من الممكن ملاحظتها في مجتمعاتنا من جهة أخرى ... ».

الملاحق:

Lewis Henry Morgan : (1881-1818) لويس هنري مورغان



محام وعالم إنسان أمريكي اهتم في بداية حياته بدراسة أمريند الايروكيز وغيرهم من سكان الشمال الشرقي الأمريكي الأصليين. حاول مورغان إعادة تركيب صورة المجتمعات الإنسانية وتصنيفها بغية التعرف على تاريخ المجتمع الأوروبي والمراحل التي مرَّ بها وصولاً إلى ما هو عليه في عصره. وقد تأثر مورغان بكتاب باخوفن "حق الأم" وبأبحاث لافيتو.

نشر مورغان في عام 1851 بحثاً بعنوان "عصبة الايروكيز" أبرز فيه النظام الأمومي السائد وسط الايروكيز. وكان اهتمام مورغان بنظم القرابة والنظم الاجتماعية والسياسية كبيراً مما دفعه للقيام برحلات واسعة بين الأمريند، وراسل المبشرين العاملين في جهات مختلفة من العالم مستفسراً عن أنظمة القرابة والتنظيمات الاجتماعية لدى الشعوب التي يبشرون بينها. كما وأطلع على كتاب هنري مين "القانون القديم" الذي نشر في عام 1861.

أصدر مورغان مؤلفه عن "أنظمة القرابة والمصاهرة في العائلة البشرية" في عام 1871 وألحقه في عام 1877 بمؤلفه "المجتمع القديم".

نجح مورغان في إقامة البرهان، عموماً، على أنّ علاقات القرابة تسيطر على تاريخ الإنسان البدائي، وعلى أنّ لهذه العلاقات تاريخاً ومنطقاً. واكتشف مورغان أن أنظمة القرابة في المجتمعات البدائية تقوم على قاعدة تبادل النساء بين الجماعات، وأن الزواج الخارجي (الاجترابي/الاكسوجامي) لا يتنافى والزواج اللحمي (الداخلي/الاندوجامي) (لأن الزواج الاجترابي بين العشائر هو تكملة الزواج اللحمي بين القبائل .

أوضح مورغان أنّ العشيرة هي الشكل السائد من أشكال التنظيم الاجتماعي لدى جميع الشعوب التي تجاوزت مرحلة التوحش. وميز مورغان شكلين من أشكال العشيرة، العشيرة التي تنتسب إلى الأم والعشيرة التي تنتسب إلى الأب، وقال بالأسبقية التاريخية والمنطقية لأنظمة قرابة الأم على أنظمة قرابة الأب متبنياً بذلك واحدة من فرضيات باخوفن.

انطلق مورغان في تحليله لأنظمة القرابة من واقعة لاحظها لدى الايروكيز الذين عاش معهم واطلع على حياتهم بشكل واسع. لقد كان نظام القرابة السائد لدى الايروكيز "متناقضاً مع علاقاتهم العائلية الفعلية" .. ففي الوقت الذي لم يكن فيه شك في حقيقة الأشخاص الذين كانوا آباءهم وأمهم وبناتهم وإخوتهم يسميهم مورغان (بحسبانه أوروبي يعتمد النظام الوصفي للقرابة) أعمام وخالات ... إلخ. وكان أبناء العم المتوازين يعدون عند الايروكيز أشقاء وشقيقات، وكان أبناء العم المتصاليون (أي المتحدرين من أخوات الأب ومن إخوة الأم) هم وحدهم الذين يسمون بأبناء العم. ولقد تولدت لدى مورغان القناعة، بعد استقصاء ومراجعة أكثر من 250 قائمة بمصطلحات القرابة عبر العالم بأسره، بأن التناقض المميز لنظام القرابة لدى الايروكيز موجود أيضاً في الهند وفي أمريكا الشمالية. ولتفسير هذه الظاهرة العامة افترض مورغان أن نظام القرابة يتطابق مع شكل عائلي منقرض يمكن إعادة بنائه فيما لو تم التوصل إلى فك لغز ذلك النظام. كان هذا التناقض تعبيراً عن السرعة المتفاوتة لتطور الأسرة، العنصر الحركي الفعال، ولتطور أنظمة القرابة، العنصر السالب المنفصل.

لقد خيل لمورغان، وهو يقيم مقارنة بين 250 من أنظمة القرابة وأشكال الأسرة التي قام بجمعها، أنه اكتشف في الأسرة الهاوائية (جزيرة هاواي) الشكل العائلي الذي يتطابق مع مصطلحات القرابة لدى الايروكيز، لكن لما كان نظام القرابة في هاواي لا يتطابق هو الآخر مع الشكل العائلي الهاوائي لم يكن هناك مفر من الرجوع تدريجياً إلى "شكل عائلي أكثر بدائية أيضاً، شكل لم يبق البرهان على وجوده في أي مكان، ولكن لا بد أن يكون قد وجد لأن نظام القرابة ما كان ليوجد دونه" وذلك على حد تعبير مورغان.

هذا الشكل البدائي الأصلي لا يمكن أن يكون، في رأي مورغان، غير حالة من "الاختلاط الجنسي" بين أعضاء "القطيع البدائي". ففي هذه الحالة كان جميع الأخوة والأخوات، والآباء والأولاد أزواجاً وزوجات، ولم يكن للمحارم من وجود وشهدت المرحلة التالية ولادة تحريم الزواج بين الفروع والأصول، بينما بقي الأخوة والأخوات في كل جيل أزواجاً وزوجات. ولا بد أن الأسرة كانت حينها "عصبية". ورغم أن مورغان يرى بأنه حتى أكثر الشعوب بدائية لا تقدم أمثلة قاطعة على هذا النوع من

الأسرة فإنه يقول: "لابد أن تكون هذه الأسرة قد وجدت لأن تطور الأسرة اللاحق يفترضها جبراً ويرغما النظام الهاوائي على القبول بذلك".

وكان التقدم الثاني حظر الزواج بين الأخوة والأخوات من نسل الأم، ثم بين الأخوة والأخوات من قرابة الحواشي. ويصبح الرجال في هذا الشكل من الأسرة أزواجاً مشتركين لزمرة من نساء لسن بأخوات لهم، وتصبح الأخوات بالمقابل الزوجات المشتركات لرجال ليسوا بإخوة لهم. هكذا يرى مورغان بأن هذا الشكل العائلي يفسر نظام القرابة لدى الأيروكيز، وأن هذا النظام يتعايش مع شكل عائلي مغاير، "العائلة القرينية" التي يكون فيها عدد محرمات الزواج أكبر أيضاً ويتخذ فيها الزوجان المزيد من الأهمية. وفي جميع الأشكال السابقة من الزواج الجماعي ما كان ممكناً تحديد عامود النسب عن غير طريق الأم. عندها اتخذ التنظيم الاجتماعي الذي كانت تتطابق معه العائلة "القرينية" شكل عشيرة، أي مجموع فروع أم واحدة حُرِّمَ عليهم من الآن فصاعداً الزواج فيما بينهم.

إن العشيرة في شكلها الأول ما كان يمكن أن تقوم إلا على عمود نسب الأم. وقد شكلت العشيرة، على حد تعبير مورغان، "قاعدة النظام الاجتماعي لغالبية الشعوب البربرية، إن لم نقل جميعها، ومنها ننتقل فوراً إلى المدنية في اليونان كما في روما".

وقد حلت محل العشيرة التي تقوم على نسب الأم العشيرة التي تقوم على نسب الأب والتي لم تدرك كامل تطورها إلا في العالم القديم بعد أن أدى ظهور تربية الماشية إلى تغير أصاب علاقات الإنتاج وأشكال الملكية لصالح الرجال. وقد أدى تطور تربية الماشية ثم الزراعة إلى ولادة الأسرة الأبوية، وأدى تطور هذه الأخيرة إلى ولادة الأسرة الزوجية الحديثة.

ولقد تطور بدءاً من نظام العشائر التنظيم القبلي ثم اتحاد القبائل، وهذه أعلى نقطة أدركها، في رأى مورغان، الهنود الأمريكيون الأصليون الأكثر تطوراً: الأيروكيز والأزتيك والإنكا. والقبيلة، طبقاً لمورغان، هي جملة من عشائر لها أرضها ولهبتها الخاصة، ولها تصورات دينية وعبادات مشتركة. وهي تنتخب زعماءها، ويدير شئونها المشتركة مجلس القبيلة، وعلى رأسه زعيم أعلى محدود السلطات. وللشعب دوماً الحق للتدخل في المناقشات.

كان هذا التنظيم، في رأى مورغان، تنظيم "ديمقراطية عسكرية" ينطوي بحكم طابعه العسكري على أشكال استثنائية من السلطة موقوفة على القادة الحربيين، لكنه يتنافى في الوقت نفسه، بحكم طابعه الديمقراطي، مع وجود طبقات متصارعة ودولة. وعلى هذا يرى مورغان أن الممالك والإمبراطوريات والملوك والأمراء التي أكتشفها الأسبان في المكسيك لم تكن إلا من اختراع مخيلتهم وجهلهم وآرائهم الغربية المسبقة على نحو يتعارض تماماً مع كل المعارف العلمية المتراكمة عن بنية المجتمع العشائري لدى الهنود الأمريكيين.

وافترض مورغان عدداً من المراحل التطورية الاجتماعية، وربط كل مرحلة من تلك المراحل بنمط معين طبقاً لمراحل التطور الثقافي، أي أن كل مرحلة تميزها علاقات ثقافية تتمظهر في أشكال من النظم بحيث تتوافق مع المراحل الفرعية. وافترض مورغان أن جميع المجتمعات الإنسانية تخضع في تطورها

لمراحل محددة وحتمية لا بد أن تمر بها كل ثقافة من الحالات الدنيا إلى الحالات الراقية فالأكثر رقياً. وقد حددها في مراحل متوالية وهي: -مرحلة التوحش الدنيا- مرحلة التوحش الوسطى-مرحلة التوحش العليا -مرحلة البربرية الدنيا- مرحلة البربرية الوسطى - مرحلة المدنية او ما يصطلح عليها الحضارة والتي تمتد الى يومنا هذا.

ادوارد برنت تايلور (1832-1917): Edward Taylor



عالم انثروبولوجي بريطاني من رواد الاتجاه التطوري . أستاذ الانثروبولوجيا في جامعة أكسفورد منذ عام 1896 الى 1913. كانت له اسهامات كبيرة في دراسة الثقافة و مقارنة للأديان. من مؤلفاته كتاب "أبحاث في التاريخ المبكر للبشرية وتطور المدنية" في عام 1869 كتابه الشهير "المجتمع البدائي" في عام 1871.

ويرجع اليه الفضل في ضبط مصطلح الثقافة في الدراسات الأنثروبولوجية باعتبارها: "كل ما يفهم من العلم والعقيدة، والفن والأخلاق، والتقاليد والأعراف، وأية قدرات أخرى يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في مجتمع". وقد عُدَّ هذا تاتعريف للثقافة في تلك المرحلة أحد أهم التعريفات .

يفترض تايلور أن دراسة الثقافة هي دراسة تاريخ تطور الفرد في المجتمع بحسبانها العملية التاريخية العقلية لتطور عادات الإنسان وتقاليد من حالتها غير المعقدة إلى حالتها المعقدة فالأكثر تعقيداً.

كان تايلور أول من درس طرق إشعال النار عند البدائيين، وطريقة الطهي بالحجارة الساخنة عند الجماعات التي لم تتعرف على صناعة الفخار. كما انه درس بعناية نظام الزواج الاغتصابي المحلي، ونظم الزواج - ويرى تايلور أن الثقافة، تتصف بالانتشار أكثر من كونها تتطور، ويرى بأن الناس أخذوا

من جيرانهم أكثر مما اخترعوا أو اكتشفوا بأنفسهم. كما يقول ويعتقد بوحدة النفس البشرية والتي تصبح انعكاساتها متشابهة في الظروف المتماثلة في أي مكان.

و في مجال دراسة المعتقدات، يعد تايلور اول من طرح مفهوم الأنيمية (الأرواحية) أي الاعتقاد بوجود الأرواح والآلهة والجن والشياطين وغيرها من الصور اللا منظورة كمنطلق لتفسير الديانات وتطورها العالمي. فقد استنتج من دراسته الميدانية لقبائل الهنود الأمريكيين من شعب البويبلو بجنوب غربي الولايات المتحدة أن جميع العقائد الدينية ظهرت نتيجة للتفسير الخاطئ لبعض الظواهر التي يتعرض لها الإنسان مثل الأحلام والأمراض والنوم والموت. ويرى أن ظاهرة الأحلام وظاهرة الموت كان لهما الأثر الأكبر في توجيه الفكر الاعتقادي لدى الإنسان. فالأحلام هي التي أوحى للإنسان بفكرة الروح والجسد ذلك أن البدائي يتخيل نفسه منتقلاً من مكان إلى آخر وهو نائم، بل وقد يرى نفسه وهو يؤدي أعمالاً يعجز عن القيام بها وهو في حالة اليقظة. ومن ثم نشأت لديه اعتقادات بأن الروح تفارق الجسد أثناء النوم مبتعدة إلى عوالم أخرى ثم تعود مرتدة إليه عند اليقظة. ويعني عدم رجوع الروح إلى الجسد الموت.

كما كانت له دراسات واسعة ومعقدة في مواضيع السحر ، اللغة ، الخرافات والاساطير وغيرها من الدراسات.

جيمس جورج فريزر (1854-1941) James George Frazer



ولد في جلاسجو، اسكتلندا، 1 يناير سنة 1854 - توفي في جلاسجو، اسكتلندا 7 مايو سنة 1941.

عالم انثروبولوجيا إسكتلندي كبير. ألف كتابه المشهور و الضخم " الغصن الذهبي (The Golden Bough) وهو عبارته عن دراسة في السحر و الدين (1890). وضح فيه إن كثير من الاساطير الدينية

و الشعائر الدينية أصلها منذ أيام ظهور الزراعة في عصر ما قبل التاريخ. و إن التطور العقلي البشري مر بثلاث مراحل : السحر البدائي، و الدين ، و العلم .

من كتبه المهمة الأخرى : " الطوطميه و الزواج بغير ذوي القربى و " الطوطميه " عن نظام الطوطم في المجتمعات البدائية.

كتب بطريقه أدبيه شيقه. مؤلفاته كان لها اثر كبير في تطور علم الانثروبولوجيا و على العالم النفسي الكبير فرويد الذي ألف كتاب " طوطم و طابو ."

أضاف فريزر دراسة الأسطورة والدين إلى مجالات خبرته. لم يسافر فريزر على نطاق واسع، باستثناء زيارته إلى إيطاليا واليونان. اعتمد فريزر على السجلات التاريخية القديمة والاستبيانات المرسلة إلى المبشرين والمسؤولين الإمبراطوريين في جميع أنحاء العالم، باعتبارها مصادره الأساسية لجمع البيانات. بدأ اهتمام فريزر بالأنثروبولوجيا الاجتماعية بعد قراءته لكتاب إدوارد بيرنت تايلور الثقافة البدائية (1871) وتشجيع صديقه الباحث في الكتاب المقدس ويليام روبرتسون سميث له؛ الذي كان يعمل على مقارنة عناصر العهد القديم مع الفلكلور العبري المبكر .

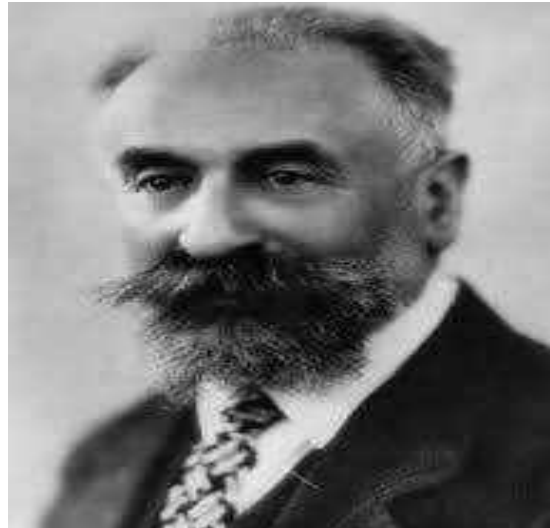
اعتُبر فريزر أول العلماء الذين وصفوا العلاقات بين الأساطير والطقوس بالتفصيل. لم تؤكد الدراسات الميدانية رؤيته فيما يتعلق بالتضحية السنوية للملك المقدس. وعلى الرغم من ذلك، أصدر فريزر دراسة الغصن الذهبي التي بحث فيها في مجال العقائد والطقوس والأساطير وأوجه الشبه بينهم في المسيحية المبكرة؛ بحث جامعو الأساطير الحديثين في هذه الدراسة على مدى عدة قرون بسبب احتواءها على معلومات تفصيلية.

نُشرت الطبعة الأولى من دراسته في عام 1890، إذ كانت مكونة من مجلدين؛ بينما نُشرت الطبعة الثانية في عام 1900، واحتوت ثلاثة مجلدات. انتهى العمل على الطبعة الثالثة في عام 1915، إذ تكوّنت من 12 مجلدًا قبل أن يُضاف المجلد الثالث عشر المكمل في عام 1936. نُشرت طبعةً مختصرةً مؤلفةً من مجلد واحد في عام 1922، إذ أعدت هذه الطبعة زوجته ليدي فريزر مستبعدةً بعض المعلومات المثيرة للجدل حول المسيحية. تجاوز تأثير عمله الحدود التقليدية للأوساط الأكاديمية، إذ ألهم الأعمال الجديدة للعديد من علماء النفس والأطباء النفسيين. استشهد مؤسس مدرسة التحليل النفسي سيغموند فرويد بالطوطمية والزواج الخارجي مرارًا وتكرارًا في كتابه الطوطم والتابو: التشابه بين الواقع النفسي للبدائيين والعصابيين.

استطاع فريزر جذب أجيال من الفنانين والشعراء من خلال فكرته المتعلقة بدورة الحياة الرمزية والموت والانبعاث؛ الفكرة التي تكهن بها بعد دراسته لأساطير العديد من الشعوب. ولعل أبرز نتائج هذا الانجذاب هي قصيدة ت. س. إليوت الأرض اليباب 1922.

أنتقد باحثو أواخر القرن العشرين أعمال فريزر الرائدة. على سبيل المثال، كتب عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية إدموند ليتش سلسلة من المقالات النقدية خلال ثمانينيات القرن المنصرم، إذ نُشرت أبرزها في مجلة الأنثروبولوجيا اليوم ضمن المجلد الأول 1958. انتقد ليتش الغصن الذهبي بسبب احتواءه على المقارنات واسعة النطاق مستمدة من ثقافات متباعدة. استند ليتش في أغلب تعليقاته على طبعة فريزر المختصرة، التي لا تشير إلى التفاصيل الأثرية الداعمة لكلامه. كتب جاي. دي. هاوكنز مراجعةً إيجابيةً لكتاب ركّز بشكل خاص على العبادة في مدينة حريك الحيثية، إذ علّق قائلاً في عام 1973: «إنّ العمل برمته منهجي للغاية، ومتقيد بالأدلة الوثائقية المذكورة تقيّدًا وثيقًا؛ الأمر الذي لم يكن مألوفًا لدى السير الراحل جيمس فريزر». وفي الآونة الأخيرة، تعرّض الغصن الذهبي لانتقادات تزعم احتواءه على ما يُقال بأنها عناصر إمبريالية ومعادية للكاثوليكية وطبقية وعنصرية، بما في ذلك افتراضات فريزر القائلة بتمثيل كل من الفلاحين الأوروبيين والأستراليين الأصليين والأفريقيين للمراحل المتحرّجة والمبكرة من التطور الثقافي. يُعتبر تعقيب فريزر على وصف المسافر اليوناني باوسانياس لليونان في منتصف القرن الثاني الميلادي أحد أعمال فريزر الهامة، إذ تضمّن تعقيبه هذا ستّة مجلدات. أضافت الحفريات الأثرية الكثير إلى معرفتنا حول اليونان القديمة منذ زمن فريزر؛ إلا أن العلماء مازالوا يعتقدون بأهمية مناقشاته التاريخية والطبوغرافية المفصلة لمواقع مختلفة، بالإضافة إلى إفادات شهود عيان القرن التاسع عشر في اليونان التي تكلم عنها.

مارسيل موس: (10 مايو 1872 - 10 فبراير 1950) Marcel MAUSS



وُلد موسى في إينال، فوج، لعائلة يهودية. درس الفلسفة في بوردو، حيث كان خاله إميل دوركايم يدرّس في ذلك الوقت. بدأ موسى بدراسة اللغويات، واللاهوت، والسكربتية، والعبرية، و«تاريخ الأديان والشعوب غير المتحضرة» في كلية الدراسات العليا في تسعينيات القرن التاسع عشر واستمر بدراساتها لبقية حياته.

نجح في امتحان الأوغريغاتيون في عام 1893. كان أيضًا ابن العم الأول لسلالة كلوديت (رفائيل) بلوخ، عالمة الأحياء البحرية ووالدة موريس بلوخ الذي أصبح عالم أنثروبولوجيا معروفًا. بدلًا من أخذ المسار المعتاد والتدريس في كلية ما بعد الجامعة، انتقل موسى إلى باريس ودرس مقارنة الأديان والسكربتية .

كان منشوره الأول في عام 1896 بداية لمهنة مثمرة أنتجت العديد من المعالم في الأدب الاجتماعي. على غرار العديد من أعضاء السنة الاجتماعية، انجذب موسى إلى الاشتراكية، خاصة تلك التي تبناها جان جوريس. نشط بشكل خاص في أحداث قضية دريفوس. ساعد في تحرير بعض الصحف اليسارية مع نهاية القرن مثل الحركة الشعبية، والإنسانية، والحركة الاشتراكية، الأخيرة بالتعاون مع جورج سيرويل .

بدأ موسى بالاعتماد على الإثنوغرافيا في عام 1901، وبدأ عمله بتطوير الخصائص المرتبطة بالأنثروبولوجيا الرسمية الآن. خدم موسى في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى منذ عام 1914 وحتى عام 1919 بصفته مترجمًا فوريًا. كانت تلك السنوات مدمرة للغاية بالنسبة له. مات العديد من أصدقائه وزملائه في الحرب، وتوفي عمه دوركايم قبل وقت قصير من نهايتها.

الإنسان حسب موسى ظاهرة كلية ينبغي أن تدرس من كل زواياها وجوانبها لفهم كيف يتم فصل الفردي والجماعي. كما أن مفهوم الفرد نفسه ليس معطى طبيعيًا أوليًا بل له تاريخ يتلاقى فيه الطبيعي والثقافي والفردي والجماعي. في رسالته في موضوع "الهدية" أثبت موسى أن التبادل لا يخضع للضرورات الاقتصادية فقط بل يُستعمل لإنشاء علاقات دبلوماسية أو سياسية أو قانونية كما أن له في بعض المجتمعات وظائف دينية وأبعادًا سياسية. وبعكس ماركس الذي رأى عملية الإنتاج كأساس المجتمع، رأى موسى أن التبادل هو أساس البنية الاجتماعية، وإذا افترض البعض أن التبادل يحدث فقط في السوق، فيشير موسى إلى وجود حياة كاملة من وراء السلع وعمليات التبادل لا تقتصر على السوق إنما تشمل تبادل الهدايا أو الهبات في المناسبات الاجتماعية والدينية وغيرها. فهذه أمثلة معدودة لمقاربة موسى للظواهر الاجتماعية ورفضه أن يحصرها في مجال علمي واحد إذ الإنسان حسب رأيه ظاهرة كلية لا تجوز تجزئتها.

للمزيد من الاطلاع والتوسع انظر كتاب:

المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية: مارسيل موسى نموذجًا / في موقع مجلة الثقافة الشعبية (البحرين)

بواس , فرانز (Boas, Franz) (1858-1942) :



عالم أنثروبولوجي و أنثولوجي (أمريكي). كان له أعظم الأثر في الدراسات الأنثروبولوجية و الأثنولوجية الحديثة , يعتبر أبا للأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية. درس قبائل (الإسكيمو) و (الهنود الأمريكيين) القاطنين في (كولومبيا البريطانية) . قام بدراسات ميدانية في (المكسيك) و (بورتوريكو) درس على يديه أكبر علماء الأنثروبولوجيا في الجيل المعاصر في (و. م. أ). كان دارسا ميدانيا من الطراز الأول. أصر على تطوير طريقة علمية دقيقة لجمع المعلومات عن الشعوب البدائية و رفض الملاحظات العابرة و التعميمات النظرية, لم يكن انتشاريا متطرفا و لا تطوريا متعصبا. رفض فكرة إعادة بناء تاريخ الحضارة. أعار الدراسات اللغوية اهتماما خاصا.

من مؤلفاته العلمية:

- ذهن الانسان البدائي 1911 - الفن البدائي 1927 - الانثروبولوجيا والحياة العصرية 1928 -
الانثروبولوجيا العامة 1938.

ينحدر فرانز بواس من أسرة يهودية ألمانية ذات تفكير ليبرالي. وقد تأثر بالمسألة العنصرية وكان أحد ضحايا معاداة السامية على يد أحد زملائه في الجامعة. تابع دراسته العليا في الجامعات الألمانية المختلفة فدرس الفيزياء أولاً ثم الرياضيات وبعدها الجغرافيا (الفيزيائية والبشرية). وقادته دراسته الأخيرة إلى الأنثروبولوجيا .في عام 1883-1884 شارك في بعثة إلى أرض بافن في بلاد الإسكيمو، باعتباره جغرافياً مثقلاً باهتمامات رجل الجغرافيا(كان الموضوع المطلوب هو دراسة أثر الوسط المادي على

مجتمع الإسكيمو)، فلاحظ أن التنظيم الاجتماعي كان محكوماً بالثقافة أكثر منه بالبيئة المادية. وبالتالي عاد إلى ألمانيا عازماً على تكريس بحوثه، من الآن فصاعداً، للأنثروبولوجيا بشكل أساسي.

في عام 1886 سافر بواس إلى أميركا الشمالية للقيام باستطلاعات ميدانية لوصف الأعراق من خلال هنود الشاطئ الشمالي الغربي في كولومبيا البريطانية. وبين عامي 1886 و 1889 أقام في قبائل الكويوتل والشينوك والتزيميشان. وقرر في عام 1887 الاستقرار في الولايات المتحدة والحصول على الجنسية الأمريكية.

إذا أردنا الإيجاز نقول إن أعمال بواس كلها تشكل محاولة للتفكير في قضية الاختلاف. فهو يعتبر أن الاختلاف الأساسي القائم بين الجماعات البشرية هو اختلاف ثقافي وليس اختلافاً عرقياً. وبما أنه درس الأنثروبولوجيا الفيزيائية فقد أولى هذا الفرع اهتماماً كبيراً، لكن اهتمامه انصب على تفكيك ما كان يشكل في تلك الفترة مفهوماً رئيسياً وهو مفهوم "العرق".

في دراسة له أحدثت صدى كبيراً قدمها عام 1910 (جمع فيها 17821 موضوعاً (بين، بالاعتماد على المنهج الإحصائي، السرعة الكبيرة (على مدى جيل واحد (للتنوع الذي يلحق بالسمات الشكلية (لا سيما شكل الجمجمة) بسبب ضغط البيئة الجديدة. واعتبر أن مفهوم "العرق" البشري المزعوم علمياً، ويعدّ مجموعة ثابتة أو دائمة من السمات الفيزيائية الخاصة بجماعة بشرية معينة ما هو إلا مفهوم ضعيف لا يصمد أمام الواقع. ف"الأعراق" المزعومة ليست ثابتة، وليس هناك صفات عرقية ثابتة. وبالتالي يستحيل تعريف "عرق" ما بدقة حتى لو لجأنا إلى ما يسمى بمنهج المعدلات الوسطية. moyennes وخاصة الجماعات البشرية، على الصعيد الفيزيائي، هي مرونتها وتغيرها واختلاطها. ومن هذه الاستنتاجات انتقل إلى اكتشافات متأخرة تتعلق بعلم وراثه السكان من البشر.

كما اهتم بواس بتوضيح عبث الفكرة التي كانت مهيمنة في عصره والمستترة خلف مفهوم "العرق". وهي فكرة وجود علاقة بين السمات الفيزيائية والسمات العقلية. ويعتبر تايلور أن المجالين ينشآن عن تحليلين شديدي التباين. وللوقوف في وجه هذه الفكرة اعتمد مفهوم الثقافة الذي كان يبدو له الأصلح لبيان تنوع البشرية. وهو لا يرى أي اختلاف "طبيعي" (بيولوجي) بين البدائيين والمتحضرين إلا الاختلاف الثقافي. وهو بالتالي اختلاف مكتسب وليس غريزياً. يتضح إذًا، أن بواس يعتبر مفهوم الثقافة لا يعمل بشكل يخفي معه مفهوم "العرق" مخالفاً بهذا ما قاله البعض آنذاك، ووضع بواس هذا المفهوم في مقابل الآخر. وكان بواس آخر رجال العلم الاجتماعيين الذين تخلوا عن مفهوم "العرق" في تفسير التصرفات البشرية.

وخلالاً لتايلور الذي أخذ عنه تعريفه للثقافة، وضع بواس نصب عينيه هدف دراسة الثقافات وليس الثقافة. ولأنه كان متحفظاً إزاء التركيبات synthèses النظرية، لاسيما النظرية التطورية ذات الاتجاه الواحد unilinéaire التي كانت سائدة في الوسط الفكري، فقد عرض في عام 1896، في مداخلة

له، ما كان يعتبره "حدود المنهج المقارن" في دراسة الأعراق. وهاجم الاتجاه التطوري غير المتحفظ المعتمد من أغلب الكتاب التطوريين. وكان يرى أنه لم يكن هنالك إلا القليل من الأمل لاكتشاف القوانين العامة لحركة المجتمعات والثقافات البشرية، وكذلك القوانين العامة لتطور الثقافات. ووجه نقداً جذرياً للمنهج المسمى بـ "التحقيب Périodisation" التي تتطوي على إعادة بناء مختلف أحقاب تطور الثقافة انطلاقاً من أصولها المزعومة.

وللأسباب نفسها كان بواس حذراً من الأطروحات الانتشارية المزعومة القائمة على إعادة البناء التاريخية. على وجه العموم، استبعد بواس كل نظرية كانت تزعم قدرتها على تفسير الأشياء كلها. ونظراً لاهتمامه بالدقة العلمية، فقد رفض أي تعميم يخرج عن إطار ما يمكن توضيحه تجريبياً.

لقد كان بواس شكاكاً ومحللاً أكثر منه منظراً، ولم يطمح أبداً إلى تأسيس مدرسة فكرية.

وفي المقابل، سيبقى بواس في تاريخ الأنثروبولوجيا مؤسس المنهج الاستقرائي الميداني المكثف. وكان يفهم علم الإناسة على أنه علم الملاحظة المباشرة: إن دراسة ثقافة معينة يجب أن تقوم على تدوين كل شيء، حتى تفاصيل التفاصيل. ومن خلال اهتمامه بالاحتكاك بالواقع، لم يكن يحبذ اللجوء إلى المخبرين. فإذا أراد عالم الإناسة التعرف على ثقافة ما وفهمها جيداً، عليه أن يقوم بتعلم لغتها بنفسه. وبدلاً من إجراء المحادثات الشكلية إلى حد ما - لأن طبيعة المحادثة من شأنها تحريف الأجوبة - يجب عليه بوجه الخصوص، أن يكون متنبهاً إلى كل ما يقال في المحادثات "العفوية" أي، كما يقول، عدم التردد في "استراق السمع من خلف الأبواب". وهذا كله يفترض إقامة طويلة بين السكان الذين اختار دراسة ثقافتهم.

يعدّ بواس، على نحو ما، مخترع منهج البحث ذي الموضوع الواحد monographie في الأنثروبولوجيا. وعلى الرغم من أنه كان يتعقب أدق التفاصيل ويبحث عن معرفة شاملة للثقافة المدروسة قبل وضع الخلاصة العامة فهو لم ينجز أبداً بحثاً ذا موضوع واحد بكل ما تتطوي عليه الكلمة من معنى. بل وصل به الأمر إلى الاعتقاد بأن أية لوحة منتظمة لثقافة معينة تتضمن بالضرورة، جزءاً من التنظير، وهذا بالضبط ما كان يمتنع عن القيام به، علماً بأنه كان يؤمن بأن الثقافة تشكل كلاً وظيفياً منسجماً.

وندين لبواس "Boas" à "بالمفهوم الأنثروبولوجي حول "النسبية الثقافية" حتى لو لم يكن هو من اخترع هذا التعبير الذي لم يظهر إلا لاحقاً، أو أول من فكر بالنسبية الثقافية. النسبية الثقافية عنده هي، أولاً، وربما أكثر من أي شيء آخر، مبدأ منهجي. وللإفلات من كل أشكال العرقية المركزية ethnocentrisme في دراسة ثقافة معينة، فقد أوصى بدراسة تلك الثقافة دون أفكار مسبقة دون مقارنتها قبل الألوان بثقافات أخرى. وكان ينصح بالحيطه والحذر والصبر في البحث. وكان

واعياً لتعقيد كل منظومة ثقافية ويقول إن المعاينة المنهجية لمنظومة ثقافية في حد ذاتها من شأنها أن تقضي على تعقيدها.

بالإضافة إلى أن بواس يعتبر النسبية الثقافية مبدأً منهجياً، فإنها تتضمن أيضاً مفهوماً نسبياً للثقافة. ونظراً لأصله الألماني ودراسته في الجامعات الألمانية فقد كان متأثراً بالمفهوم الذاتي particulariste الألماني للثقافة، فهو يرى أن كل ثقافة هي ثقافة وحيدة ونوعية. وكان اهتمامه مشدوداً، بشكل عفوي، إلى ما يكون أصالة ثقافة معينة. ولذا لم يسبقه أي باحث أبداً في موضوع دراسة الثقافات الخاصة بشكل مستقل. لأنه يعتبر أن كل ثقافة تمثل كلاً فريداً، وانصب جهده على البحث عن أسباب هذه الوحدة. ومن هنا اهتمامه ليس بوصف الوقائع الثقافية وحسب بل أيضاً فهمها من خلال إعادة وصلها بالمجموع الذي ترتبط به. فالعرف الخاص لا يمكن تفسيره إلا برده إلى السياق الثقافي الذي هو سياقه. وكان يسعى إلى فهم الكيفية التي تشكلت فيها النقيضة الأولية التي تمثلها كل ثقافة والكامنة وراء تجانسها.

كل ثقافة لها "أسلوب" خاص يتضح من خلال اللغة والمعتقدات والأعراف والفن أيضاً وغير ذلك. وهذا الأسلوب هو "روح" يخص كل ثقافة ويؤثر على سلوك الأفراد. وكان بواس يظن أن مهمة الإناسي (عالم الأعراق) تنطوي أيضاً على توضيح العلاقة التي تربط الفرد بثقافته.

لا شك في وجود علاقة وطيدة بين النسبية الثقافية كمبدأ منهجي وكمبدأ إبستمولوجي تؤدي إلى مفهوم نسبي للثقافة. واختيار منهج الملاحظة المستمر والمنظم والبعيد عن الأحكام المسبقة لكيان ثقافي محدد يؤدي تدريجياً إلى اعتبار هذا الكيان كياناً مستقلاً. وتبدل الوصف العرقي لدى المسافرين "الذين يمرون مرور الكرام على هذا الكيان أو ذاك" ليتحول إلى وصف عرق يستند إلى الإقامة الطويلة قد غير تماماً فهم الثقافات الخاصة.

وفي نهاية حياته شدد بواس على وجه آخر من أوجه النسبية الثقافية وهو ما يمكن عده أيضاً مبدأً أخلاقياً يؤكد قيمة كل ثقافة وينادي بالاحترام والتسامح إزاء الثقافات المختلفة. وطالما أن كل ثقافة تعبر بشكل خاص عن كون الإنسان إنساناً فيجب احترامها وحمايتها إذا كان يتهددها خطر معين.

لو نظرنا إلى أعمال بواس في تنوعها الغني وإلى الافتراضات المتعددة التي تطرحها حول الوقائع الثقافية التي تحملها، فإننا نكتشف، بلا ريب، بشائر ما ستكون عليه الأنثروبولوجيا الثقافية في شمال أمريكا.

انظر: موقع انثروبوس على الرابط التالي

<http://www.aranthropos.com/%D9%81>

مارغريت ميد (1978-1901) Margaret Mead

تعد مارغريت ميد واحدة من أكثر علماء الأنثروبولوجيا الثقافية شهرة في الولايات المتحدة الأمريكية لما لها من تأثير امتد إلى أوروبا وبلدان أخرى. ولدت مارغريت ميد في السادس عشر من شهر كانون الأول عام 1901م في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية.



وبعد تخرجها من المرحلة الثانوية التحقت بالجامعة واختارت علم النفس حتى بداية السنة الثانية عندما انتقلت بالمرأة التي وجهتها إلى علم الإنسان وفي السنة الثانية سجلت في مادة علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) التي كان يدرسها الأستاذ "فرانز بواس" مع الأستاذة المساعدة رث بندكت، وكان يعد من أبرز علماء الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية.

أولت ميد اهتماما خاصا لموضوع الثقافة والشخصية ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في بحوثها ودراساتها الميدانية أنّ أنماط الشخصية تتحدّد بالعوامل الثقافية لا عن طريق العوامل البيولوجية.

كما ترى ان اختلاف شخصيات الأبناء عن شخصيات الآباء، من الظواهر النفسية التي تبرز بوضوح في المجتمعات المتمدنة، والتي تميّز بوضوح عملية التغير الثقافي. ولذلك قالت : أنّ كلّ عضو (فرد) في كلّ جيل يسهم - من الطفولة وحتى الشيخوخة - في إعادة شرح الأشكال الثقافية، وبالتالي يسهم أعضاء المجتمع في عملية التغير الثقافي. ولكن يجب ملاحظة أنّ التغيرات الثقافية التي تصطدم بالشخصية العامة للمجتمع، يكون مآلها الفشل في أغلب الأحيان. وهكذا، فإنّ التأثير متبادل بين الثقافة والشخصية، وذلك بالنظر لحدوث تغيير في أحدهما أو في بعضهما معاً

قضت مارغريت ميد حياتها في دراسة الشعوب الذين يعيشون على الجزر البعيدة في المحيط الهادئ، ذهبت إلى ساموا وإلى غينيا الجديدة مرات عدة، حيث درست خمسة شعوب منفصلة هم : المانوس والأرابيش والمندوجومر والتشامبولي والإتامول. وذهبت كذلك إلى "بالي" لدراسة سكانها وقد قامت بذلك لأنها أرادت دراسة حياة الشعوب الأخرى وعلى وجه الخصوص أولئك الذين كان اتصالهم بالحضارة الغربية لا يزال ضعيفا.

تعدّ الباحثة الأمريكية مارغريت ميد الرائدة الأولى في تبني الاتجاه التواصلي (الثقافي) في دراسة التغيير الاجتماعي الثقافي. فقد أجرت مارغريت ميد في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين دراسة على مجتمع من الهنود الحمر في أمريكا، ومدى تأثره بالمستعمرين البيض، من خلال احتكاكه بهم، ولاحظت

الاضطرابات التي حصلت في الحياة الاجتماعية التقليدية عند الهنود الحمر نتيجة لذلك. فقد كان مجتمع الهنود الحمر في فترة الدراسة، يعيش حالة من الصراع الشديد، بين الأخذ بالثقافة الجديدة الوافدة، وبين الثقافة القديمة التي اعتاد عليها، ولا سيّما أنّه لم يكن قد تكيف بعد مع الأوضاع الجديدة.

وفي المقابل، وجدت أيضاً، أنّ المستعمرين البيض لم يهدفوا إلى التبادل (التفاعل) بين الثقافتين، وإنما أرادوا للهنود الحمر أن يندمجوا في ثقافتهم بصورة كاملة. وعلى الرغم من موقف البيض هذا، فلم يسمحوا للهنود الحمر أن يشاركوا في أنشطتهم، أو أن يتعاملوا وإياهم على قدم المساواة. (48-49 عيسى الشماس)

لقد تدرّبت مارغريت ميد على تعلم اللغة المحلية للمجتمعات المدروسة، كما تعلمت أساليب أخذ العينات وإجراء الاختبارات والمتابعة المنظمة لأنواع السلوك من خلال دراستها لعلم النفس، كما كانت لديها خبرة بأسلوب دراسة الحالة ومعرفة بأن السلوك الفردي ينبغي أن يدرس في ضوء السياق الاجتماعي، هذا بالإضافة إلى طريقة الملاحظة بالمشاركة.

تأثرت "مارغريت ميد" بالعالم الأنثروبولوجي "بواس" الذي أسس بجامعة كولومبيا في مدينة نيويورك أول قسم رئيسي لتدريس الأنثروبولوجيا. وقد استقادت "ميد" من دراسة مالينوفسكي حول "مجتمع التروبرياندا" في شرق غينيا الجديدة، والاتجاه البنائي الوظيفي الذي يمثله الأنثروبولوجي "رادكليف براون"، هذا بالإضافة إلى اطلاعها الواسع على مدارس علم النفس ومناهجه، وخاصة مدرسة التحليل النفسي حيث تأثرت بفرويد. وترجع شهرة ميد أساساً إلى نجاحها في نشر الأفكار الأنثروبولوجية على نطاق واسع ودفاعها عن فكرة التغيير والإصلاح في مجتمع الولايات المتحدة استناداً إلى النتائج التي خلص إليها المنظور الأنثروبولوجي والمنهج المقارن في دراسة الثقافات.

ومن أهم مؤلفاتها وأبحاثها: مرحلة المراهقة في ساموا، 1928. - التنشئة الاجتماعية في غينيا الجديدة، 1930. - النوع والمزاج في ثلاثة مجتمعات بدائية، 1935. - الذكر والأنثى، 1956. - حياة جديدة لكبار السن، 1956. - الثقافة والالتزام، 1970.

برونيسلاو مالينوفسكي (1884-1942) Bronislaw Malinowski :



ولد مالينوفسكي في مدينة كراكوفيا في بولندا، لعائلة ميسورة. كان والده يعمل أستاذاً في الجامعة أما أمه فكانت ابنة أحد الإقطاعيين. كان يعاني من مشاكل صحية وضعف عام في مرحلة طفولته ولكنه كان مبرزاً في دراسته. حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة جاجيلونيا عام 1908، وكان تركيزه على الرياضيات والعلوم الفيزيائية. تدهورت حالته الصحية أثناء فترة دراسته وأثناء فترة نقاهته قرر أن يصبح مختصاً في الأنثروبولوجيا وكان ذلك بعد أن قرأ كتاب جيمس فريزر الغصن الذهبي. فقرر دراسة الإثنولوجيا في جامعة لايبزيغ حيث درس عند الاقتصادي المعروف كارل بوخر و عالم النفس فيلهلم فونت. وانتقل في العام 1910 إلى إنجلترا حيث درس في كلية لندن للاقتصاد التابعة لجامعة لندن حيث درس عند كارل ويستيرمارك. سافر مالينوفسكي في العام 1914 إلى بابوا غينيا الجديدة حيث قام بإجراء بعض الأبحاث الميدانية في منطقة مايلو ثم في منطقة جزر توربرياند. وفي رحلته إلى تلك المنطقة تاه فيها وضاع أثره واندلعت أثناء ذلك الحرب العالمية الأولى، فألقت القوات الأسترالية القبض عليه وعرضت عليه خيارين ليختار أحدهما: إما أن ينفوه إلى جزر توربرياند أو أن يحتجزوه حتى تنتهي الحرب، فاختار مالينوفسكي الخيار الأول وذهب إلى الجزر وحيداً وأجرى أبحاثه الميدانية فيها، وما زالت النتائج التي توصل إليها في تلك الرحلة والعمليات التي اتبعتها ذات أثر كبير على الدراسات الإنسانية التطبيقية حتى هذا اليوم. وفي العام 1922 حصل مالينوفسكي على درجة الدكتوراه في علم الأنثروبولوجيا وأصبح أستاذاً في كلية لندن للاقتصاد. وفي العام نفسه أصدر كتابه الذي ألفه تحت عنوان (Argonauts of the Western Pacific) والذي احتل مكانة عالمية مرموقة وأصبح مالينوفسكي على أثره من أهم وأشهر علماء الإنسان في العالم، وبفضله أصبحت كلية لندن للاقتصاد خلال سنتين من أهم مراكز تدريس علم الإنسان في بريطانيا. وقد حضر مالينوفسكي لفترات متقطعة في الولايات المتحدة وعندما بدأت [الحرب العالمية الثانية] كان هنالك فاضطر المكوث فيها وأصبح يدرس في جامعة ياييل والتي بقي فيها حتى وافته

المنية. وقد أسس مالمينوفسكي الجمعية البولندية للأدب والعلوم في أمريكا. توفي مالمينوفسكي في 16 أيار 1942 في الذكرى الخامسة والثمانين لميلاده نتيجة نوبة قلبية

تمثل إسهام مالمينوفسكي في النظرية الوظيفية في طرحه لتوجيه نظري يقوم على فرضية مفادها أن جميع السمات الثقافية تشكل أجزاء مقيدة للمجتمع الذي توجد فيه، أي أن كل نمط ثقافي، وكل معتقد ديني، أو موقف من المواقف يمثل جزءاً من ثقافة المجتمع يؤدي وظيفة في تلك الثقافة. ويرى مالمينوفسكي أن ثقافة أي مجتمع تنشأ وتتطور في إطار إشباع الاحتياجات البيولوجية للأفراد، وحصراً في التغذية، والإنجاب، والراحة البدنية، والأمان والاسترخاء، والحركة والنمو، وهي حاجات ضرورية تؤهلهم للبقاء. ومنها يعرف الوظيفة بالقول: "لا يمكن تعريف الوظيفة إلا بإشباع الحاجات عن طريق النشاط الذي يتعاون فيه الأفراد ويستخدمون الآلات ويستهلكون ما ينتجونه."

يرى مالمينوفسكي أن الاستجابات الثقافية للحاجات البيولوجية الضرورية هي التي فرضت على الإنسان عدداً من الضرورات الناتجة عن هذه الاحتياجات الضرورية التي تتمثل في:

أولاً: نتيجة للحاجة الضرورية للغذاء ظهرت استجابات ثقافية تتمثل في الحصول على الغذاء والذي يعرف بالتنظيم الاقتصادي أياً كان هذا التنظيم ساذجاً غير معقد أو معقداً أو شاملاً لعدد من القواعد المنظمة للنشاط الاقتصادي والمتمثلة في صنع الآلات والأدوات اللازمة لإنتاج الغذاء واستخدامها لأغراض أخرى مختلفة، إلى جانب ظواهر أخرى مصاحبة مثل ملكية الأرض وتقسيماتها وتوزيع الثروة بين أفراد المجتمع وتقسيم العمل وما إلى ذلك.

ثانياً: وهي ضرورة معيارية أي ثقافية، استجابة للاحتياج لتفسير الثقافة ذاتها بقصد الوصول إلى الوظيفة الأساسية للثقافة البشرية المتمثلة في عمليات التعاون والحياة المشتركة مع ما يتطلبه ذلك من مظاهر العمل المشترك بين أفراد المجتمع من أجل المصلحة العامة، وتظهر بفعل ذلك قواعد اجتماعية معينة

ثالثاً: التنظيم السياسي الذي يحدد السلطات في أي مجتمع، ويرتبط في معظم المجتمعات بالتسلط والقهر، ويرمى إلى تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع فيما بينهم، وينظم علاقاتهم بغيرهم من المجتمعات، ويوفر لهم الحماية ضد الاعتداءات التي قد تقع عليهم من الخارج.

رابعاً: الضرورة التي تمثلها الطرق والوسائل التي ينتقل بها التراث الاجتماعي الثقافي من جيل إلى جيل، أي التربية المسؤولة عن إعداد أفراد المجتمع تربوياً وتزويدهم بالمعارف اللازمة التي تؤهلهم للقيام بأدوارهم المحددة في المجتمع، وهي تمثل القوانين المنظمة للسلوك الإنساني من جميع جوانبه.

ترك مالمينوفسكي كثيراً من المؤلفات نذكر أهمها: "سكان الأرجونوتس في غرب المحيط الهادي" (1922)، "الجريمة والعرف في المجتمع البدائي" (1926)، "الأسطورة في علم النفس البدائي" (1926)،

"الجنس والكبت في المجتمع البدائي" (1927)، "النظرية العلمية للثقافة" (1940)، "السر والعلم والدين" (1948).

ظهرت كتابات مالينوفسكى عن جماعات جزر تروبرياند بماليزيا فيما بين 1922-1935 في كتابه الشهير

"مغامرو المحيط الهادي" وقد شكلت تلك الدراسات، كما يرى الكثيرون من العلماء، جل إنتاجه العلمي في الفترة التي أمضاها مدرساً بجامعة لندن، وقد شكلت معلوماته التي جمعها من جزر تروبرياند جوهر محاضراته ودروسه التي ألقاها في لندن بخاصة ما تعلق منها بخبرته في جمع تلك المعلومات وطريقته التي انتهجها في الدراسة العقلية.

يلاحظ أن مالينوفسكى سعى لتحقيق بعض الغايات من خلال ما نشره، ويمكن أن يكون من بين تلك الغايات التأكيد على رأيه القائل بأن مظاهر الثقافة لا يمكن دراستها في ذاتها، أي بمعزل عن الغايات التي تسعى لتحقيقها، بمعنى أنه يجب على الباحث فهمها في حدود استخداماتها: فالقارب، على سبيل المثال، عند جماعات التروبرياند لا يُعد في حد ذاته أكثر من مجرد قطعة مادية، لكنه مصنوع لعدة أغراض. عند صناعته يواجه الناس بعدة صعوبات قد لا يمكن التغلب عليها إلا في حدود العمل التطوعي الجماعي، كما أن لكل خطوة من خطوات صناعة القارب طقوسها الخاصة بها وأن تلك الطقوس والاعتقادات لا تكمن في مجرد خطوات صناعة القارب وإنما حتى عند استخدامه في الإبحار، وفي مجابهة الأخطار، وفي نجاح التجارة وما إلى ذلك. ويلاحظ مالينوفسكى بفعل خبرته الدقيقة بقضايا منهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية أنه يجب على الباحث ألا يعتمد كثيراً على العموميات، كما ويجب عليه ألا يعول كثيراً على شروح مخبره المرافق له في الدراسة العقلية من أجل الوصول إلى فهم الحقيقة الاجتماعية وذلك لأن الناس دائماً يقولون شيئاً ويفعلون شيئاً مغايراً .

راد كليف براون (1881-1955): Alfred Radcliffe-Brown



الفريد راد كليف براون عالم في علم الإنسان ولد الفريد راد كليف براون في 17 يناير من عام 1881 في برمينجهام بإنجلترا تخرج من جامعة كمبردج وشغل منصب البروفسور في جامعات كاب سدني، شيكاغو قبل أن يصبح الاستاذ الأول للأنثروبولوجيا بجامعة اكسفورد خصص براون جل أعماله لدراسة الشعوب غير الصناعية والسكان الاصليين لأستراليا يعد راد كليف براون من رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية. البريطانية الحديثة وعرف باتجاهه الوظيفي البنائي. أسهم إسهاماً بناءً في دراسة البناء الاجتماعي وأنساق القرابة. تأثر براون وهيمنت على أفكاره مسألة المماثلة والمثابهة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية البيولوجية للكائنات الحية ، فالمجتمع عنده مثل الكائن الحي يتألف من أجزاء أو وحدات تتداخل وظيفياً وتعتمد على بعضها البعض، حيث تعمل نظم المجتمع وتقاليدته على بقاء المجتمع واستمراره. يُعرّف براون الوظيفة بأنها الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في النشاط الكلي الذي يكون هو جزء فيه. هكذا تكون وظيفة أي نظام اجتماعي كامن في الدور الذي يؤديه في البنية الاجتماعية المكونة من أفراد يرتبطون ببعضهم في كل واحدٍ متماسكٍ للعلاقات الاجتماعية المحددة، ووظيفة أية عادة اجتماعية هي الدور الذي تقوم به العادة المعينة في مجمل الحياة الاجتماعية على أساس أن هذه الحياة هي عماد النسق الاجتماعي الكلي.

ان فكرة الوظيفة بمعناها البنوي عند براون تقوم على أساس أن البنية تؤلف مجموعة من العلاقات التي تربط بين تلك الوحدات البنوية بدرجات متفاوتة. فالأسرة عند براون هي بمثابة وحدة بنوية والعلاقات الأسرية القائمة بين أفرادها هي علاقات بنوية تستحيل رؤيتها في عموميتها في أية لحظة لكننا نستطيع ملاحظتها. أن أهم ما يميز تفسيرات براون وتحليلاته الوظيفية هو تركيزها على البنية الاجتماعية هو

تركيزها على البنية الاجتماعية ووظيفتها وهو ما أدى إلى انبثاق اتجاه جديد في الأنثروبولوجيا صار يعرف بالاتجاه البنيوي الوظيفي.

يرى بروان أن مفهوم البنية يشير بالضرورة إلى وجود نوع من الترتيب بين الأجزاء التي تدخل في تركيب الكل وذلك لأن ثمة علاقات وروابط معينة بين الأجزاء التي تؤلف الكل وتجعل منه بنية متماسكة ومتمايزة. ومن ثم تكون الوحدات الجزئية التي تدخل في تكوين البنية الاجتماعية هم الأشخاص أعضاء المجتمع الذين يحتل كل منهم مركزاً معيناً في المجتمع ويؤدي دوراً معلوماً في الحياة الاجتماعية. فالإنسان الفرد عند راد كليف بروان لا يعد جزءاً مكوناً للبنية التي تتألف من أشخاص هم أعضاء المجتمع.

فالإنسان الفرد هو كائن بيولوجي يتكون من مجموعة كبيرة من وحدات وعمليات عضوية ونفسية وبالتالي مداراً لبحث البيولوجيا وعلم النفس. أما الإنسان شخصاً فهو مجموعة من العلاقات الاجتماعية تتحد طبقاً لمكانته الاجتماعية مواطناً، وزوجاً، وأباً، وعضواً في مجتمع الخ. من هنا يصبح الإنسان "الشخص" لا "الفرد" هو موضوع بحث الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تستمر باستمرار النظام الاجتماعي الذي ينظم أدوار الأشخاص ويشخص علاقاتهم بين بعضهم البعض ويحددها ... هذا ما يفسر، في رأي براون، استمرار العشيرة، والقبيلة، والأمة بحسبانها تجسداً لتنظيمات معينة من الأشخاص رغم التغير الذي يصيب الوحدات المؤلفة له من وقت إلى آخر . يقصد براون بالبنية الاجتماعية الآتي:

أولاً: الجماعات الاجتماعية الموجودة لفترة طويلة وكافية، وهي الأشكال المورفولوجية للمجتمع الإنساني والتي تمثل تجمع الأنساق في وحدات اجتماعية مختلفة الأحجام.

ثانياً: التباين القائم بين أفراد وجماعات مجتمع من المجتمعات، ويحدد ذلك التباين الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد والجماعات في المجتمع الواحد، مثل اختلاف المركز الاجتماعي بين الرجال والنساء، وبين الشيوخ والشباب، وبين الشباب والأطفال، وبين الرئيس والمرؤوس، وبين صاحب العمل والعمال .

ثالثاً: كل العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين شخص وآخر من البنية التي تتكون من العلاقات الثنائية مثل العلاقات بين الأب وابنه، وابن الخال وابن أخته الخ. ويعد النظام القرابي في المجتمعات غير المعقدة أهم النظم الاجتماعية وهو الذي يحدد شبكة العلاقات الاجتماعية للمجتمع.

وتتميز البنية الاجتماعية وفقاً لبروان بعدة خصائص:

1- البنية الواقعية التي هي مجموعة من العلاقات الواقعية بين شخصين على الأقل، وقد تضم عدداً كبيراً من الأشخاص. ما يميز هذه العلاقات طابعها المتغير سواء بين الأشخاص أو الجماعات، بمعنى أنها غير ثابتة بفعل دخول أعضاء جدد في المجتمع عبر الولادة أو الهجرة إلى المجتمع، والهجرة من المجتمع، والوفيات. تشمل البنية الاجتماعية الواقعية أيضاً جميع العلاقات الاجتماعية الجزئية المتغيرة بين أعضاء أي مجتمع من المجتمعات البشرية.

2- الصورة البنيوية التي تتميز بالثبات النسبي لفترة زمنية تطول أو تقصر وفق متغيرات معينة. وتتعرض الصورة البنيوية للتغير في حالات بصورة فجائية أو تدريجية ... فالثورة أو الغزو الخارجي قد يؤديان إلى حدوث تغير فجائي عارم.

3- لا يمكن رؤية البنية الاجتماعية بصورة مباشرة ، لكن يمكن للباحث ملاحظة البنية في صورة علاقات اجتماعية محسوسة بين افراد وجماعات مجتمع من المجتمعات... ثم ان دراسة البنية الاجتماعية شيء ودراسة العلاقات الاجتماعية شيء اخر. يستخدم بعض الانثروبولوجيين مصطلح البنية الاجتماعية للإشارة الى الجماعات الاجتماعية الثابتة فقط مثل الامم والقبائل والعشائر... الخ التي تحتفظ باستمراريتها وكيانها بالرغم من التغيرات التي تتعرض لها عضويتها زيادة او نقصانا.

4- يدرس الباحث الأنثروبولوجي البنية الاجتماعية بهدف الوصول إلى نتائج موضوعية مستخدماً منهجاً شمولياً، أي دراسة تشمل جميع أجزاء البنية الاجتماعية وكافة مظاهرها ذلك أن عناصر البنية وأجزاءها تتفاعل ككل وعلى الباحث أن يكشف عن العلاقات المباشرة وغير المباشرة التي تربط تلك العناصر والأجزاء. بمعنى آخر عليه أن يحدد عملية التأثيرات المتبادلة بين وحدات البنية الاجتماعية. 5- استمرار البنية الاجتماعية وبقائها فترة طويلة من الزمن، وهي خاصة تميز البنية وتؤهّلها للقيام بوظيفتها الاجتماعية الأساسية المتمثلة في الحفاظ على تماسك المجتمع وبقائه، ويكون بقاء البنية بقاءً متجدداً لا جامداً، بمعنى أنه متغير وليس ساكن.

6- لقد أصبحت البنيوية الوظيفية دراسة لا لنمط الحياة بل لنمط وجود فعلى متخطية نزعة المركزة الاتنية التي ميزت الأنثروبولوجيا في النصف الأول للقرن التاسع عشر والتي لم تر في المجتمعات الأخرى إلا أنواعاً من الحياة التي تخطاها التطور.

من اهم مؤلفاته : "جزر الاندمان .(1922) " كما جمعت مقالاته العلمية ومحاضراته في ثلاثة كتب" :البنية والوظيفة في المجتمع البدائي" (1952)، "علم طبيعي للمجتمع" (1957)، "المنهج في الأنثروبولوجيا الاجتماعية" (1958).

كلود ليفي - ستروس (Levi-Stauss, Claude) (1908-2009)



عالم أنثروبولوجي (فرنسي). درس القانون و الفلسفة ثم تحول إلى الأنثروبولوجيا ، درس الشعوب البدائية في (البرازيل) و المناطق الجنوبية من حوض (نهر الأمازون).

منح درجات علمية فاخرة. و أصبح عضوا في عدد من الجمعيات العلمية. أوضح أن العقل البدائي عقل منطقي. توصل إلى أن الميثولوجيا(علم الاساطير) ليست توضيحا للظواهر الطبيعية. بل هي وجهات نظر الإنسان عن وجوده و تنظيم مجتمعه. ركز على دراسة (الطوطمية- الاعراق- الاساطير... الخ

يعتبر كلود ليفي ستروس (المدرسة الفرنسية) مؤسس الأنثروبولوجيا البنائية. ، لقد اهتم الأنثولوجيون والأنثروبولوجيون قبل ليفي ستروس بجعل دراساتهم تركز على دراسة المجتمعات المغايرة (لمجتمعاتهم) وجعلوا منها الموضوع الأساسي لفرعهم المعرفي: كيف تشتغل هذه المجتمعات، ما هو التنظيم الذي تعتمده، ما هو أسلوب حمايتها، ما هي نفسانياتها؟ (وكان مالينوفسكي *malinowski*) هو النموذج الكامل لهذه الاهتمامات أما ليفي ستروس فقد ذهب، بالعكس، إلى جعل هذه الدراسة التي أطلق عليها بحق (الأنثولوجيا/ الأنثروبولوجيا) واسطة لا غاية. إذ أن الغاية عنده هي معرفة الإنسان الكلي بجميع أبعاده، جغرافية كانت أم تاريخية.

وقد شدد ليفي ستروس على تنوع الثقافات وخصوصياتها الأمر الذي من شأنه أن يقضي إلى " معاينة مجرّئة أو مجزأة"، وقد انطلق ليفي ستروس من أن الاختلافات القائمة بين المجتمعات إنما هي اختلافات تكاملية، وذلك على الرغم من وجود هذه الاختلافات، وعلى الرغم من خصوصية الثقافات.

[إذن الاناسة (الأنثروبولوجيا) عنده هي علم الاختلافات المتكاملة الذي يبحث عما هو جامع في

الخصائص المشتركة بين كل المجتمعات]

-تقوم البنيوية عند ليفي ستروس على أن ما وراء العقلي ، ما وراء منطق التنظيم المجتمعي وممارسات المجتمعات ومعيوشها، ما وراء قواعدها التي تختلف باختلاف الأمكنة، هناك شيء مشترك نجده عند الإنسان مهما كان أصله أو كانت ثقافته، وأن هذا الشيء المشترك هو اللاوعي الجماعي للذهن البشري، وهو لا وعي يتغذى بالصور نفسها، والرموز نفسها، والحوافز نفسها، فالتفسير والحالة هذه أقرب إلى التفسير النفساني منه إلى التفسير الاجتماعي (السوسيوولوجي)، إنه يكمن في النفسانيات الجماعية للجماعة. أما عن دور اللاوعي الجماعي عنده فقد اعتمد في تفسيره إلى 03 مرجعيات أساسية:

أ-مرجعية التحليل النفسي: حيث بين: أن حقيقة الشيء لا ينبغي أن يبحث عنها في ما هو ظاهر منه وبارز بل في ما هو مستضمر/كامن/فيه، في ما هو خلف الظواهر.

ب-مرجعية البيولوجيا: إننا في دراستنا لوضعية وحالة مجتمع ما لا نكتف بوصف المجتمع كما هو ظاهر بل يجب أن نبحث عن العوامل التي شكلت هذا المظهر الاجتماعي.
فدراسة منظر طبيعي متنوع لا يجدي معه الوصف وأن نكتف بوصف المنظر بكلية الظاهرة والبارزة ولكن علينا البحث عن الأرضية الجيولوجية التي يقوم عليها، من دراسة الطبقات وترتيبها ونوعية التربة والصخور.

ج-أما المرجع الثالث فيستند إلى ماركس الذي أخذ عنه فكرة هامة هي:

" هكذا يتبع وراء الأحداث (الواقع المرئي الظاهر) شيء لا يقع تماما ضمن حيز الرؤية شيء يفترض برجل العلم أن يبينه"، أي أن البنية المجتمعية لا تبنى على صعيد الأحداث بل انطلاقاً من عوامل أخرى غير مرئية كالاقتصاد والتاريخ... يمكننا أن نلخص أن المنهج البنائي يقوم على أسس هي:
-التعامل بالمثل، المماثلة دائماً وأبداً في سلوكياتنا وعقليتنا.

-المنطق الإثنيني الذي نجده في أشكال التنظيم المختلفة (مثلاً: دنيوي/ ديني، مقدس/ مدنس...)
ونراه أكثر في المصطلحات القرابية مثل(أب-ابن-أخ...)) وفي التصنيفات الذهنية التي تعتمد على مجتمعاتنا: أرض/سما، طبيعة/ثقافة، فطري/مكتسب... إلخ.

-علاقات التضاد والتكامل ونعني بها تضادات طبيعية واجتماعية أي (أزواج من النقائض) (مثل الدراسة التي قام بها مورغان على قبائل أسترالية تنقسم كل منها إلى نصفين متضادين ومتكاملين في آن معاً مثل التضاد والتكامل الذي يظهر في التبادلات النسائية (زوجات متبادلة إلزامية)
-إن البنية تتصف بما يتصف به النظام، أي: أنها تتكون من عدد معين من العناصر بحيث أن كل تعديل يطرأ على عنصر منها يستتبع تعديلاً في جميع العناصر الأخرى.

من مؤلفاته:

- الأنثروبولوجيا البنيوية - من قريب ومن بعيد (الدوائر الباردة - الفكر البري - الإناسة البنيانية العرق والتاريخ - الاسطورة والمعنى - مقالات في الإناسة - من قريب ومن بعيد - مداريات حزينة... إلخ

للمزيد حول كلود ليفي ستروس انظر:

البنيوية وما بعدها / من ليفي شتراوس الى دريدا - مجلة علام المعرفة - العدد 206
الرابط:

<http://aems.edu.sd/wp-content/uploads/2019/03/%D8%>

قائمة المراجع

- 1- جاك لومبار: مدخل إلى الأنثروبولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، الطبعة الأولى 1997 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب.
- 2- عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت 1971.
- 3- فرانسوا لابلاتين: مفاتيح الأنثروبولوجيا، ترجمة حفاوي عمامرة، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000.
- 4- محمد عبده محجوب: مقدمة في الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1987.
- 5- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003.
- 7- محمد حسين غامري: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 8- عبد الله عبد الغني غانم: طرق البحث الأنثروبولوجي، الطبعة الأولى، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004.
- 9- ايفانز بريتشارد: الأناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظرية الأناسيين، ترجمة حسن قبيسي، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986.
- 10- ميلود سفاري: أساسيات في منهجية وتقنيات البحث في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005.
- 11- نخبة من اعضاء هيئة التدريس: مدخل الى الانثروبولوجيا (علم الانسان) ، تحرير: د.مصطفى عمر حمادة.الناشر عالم المعرفة الجامعية - الاسكندرية - مصر - 2011

12- فتحة محمد إبراهيم، مصطفى حمدي لشنواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988.

13- بيار بونت، ميشال ايزار، معجم الإثنولوجيا و الأنثروبولوجيا، ترجمة : مصباح الصمد.

14- Jean Lopans: L'enquête ethnologique de terrain/11, édition:

claire

[hemmut.1](#)

[.998.](#)

-15

<http://www.moefporum.net/vb1/showthead.php?t=4882&/12>